١٠٤٢
دار م. النحاس

كبير

1042
HARLEQUIN

صيف المهرجان

شارلوت لامب

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

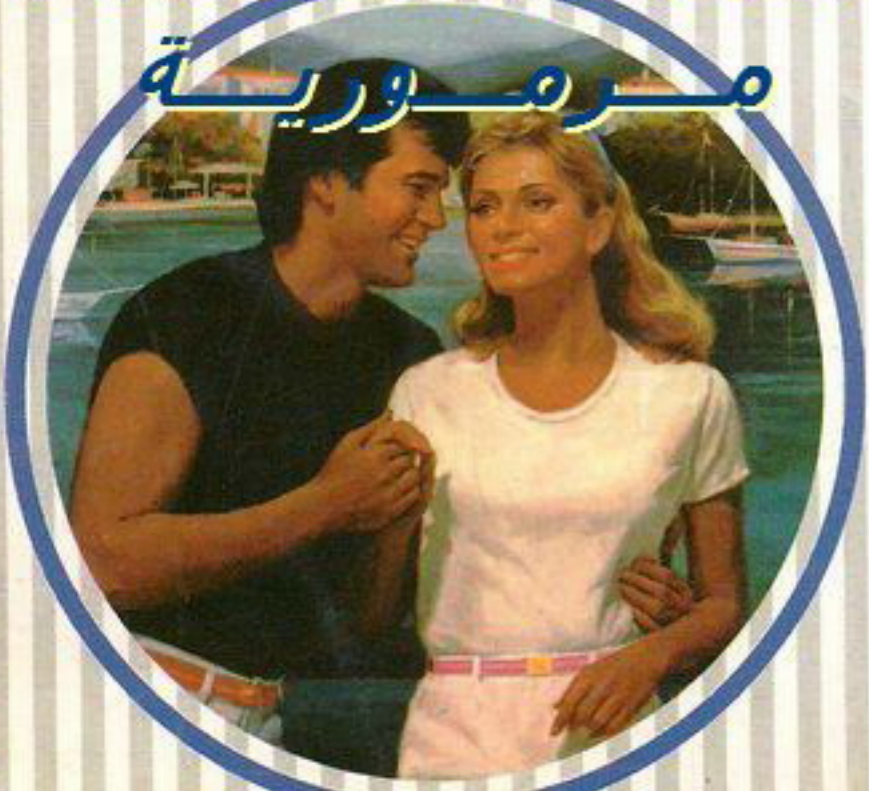

صيف المهرجان

شارلوت لامب

كان آل ميلفورد الرائعون إحدى أعرق العائلات المسرحية في انكلترا. كانوا لامعين ذوي جمال ونباهة كلهم، ما عدا صغرى افرادها، كاثرين، التي كانت هادئة. تحب الحياة المنزلية. ولم يظهر عندها أي رغبة في احتراف المسرح. كانت، بشكل أو باخر، قانعة بالعيش في ظل عائلتها المشهورة، حتى عندما ذهبت العائلة جميعاً خلال الصيف إلى مهرجان كانت ويتش، اقنعت كاثرين بان تقوم بدور السكرتيرة ومساعدة المخرج الصعب المزاج، ماكس نيلسون.

ولكن ماكس، على ما بدا، كان يخطط شيئاً آخر لكاثرين...

«كم من المرات يجب أن أخبرك؟» صرخت كاثرين بانفعال.

«أنا سعيدة تماماً بما أنا عليه!»

فقال ماكس بازدراء: «أنت جبانة. أنت تخافين السقوط إلى حدٍ لا تريدين معه أن تصعدي ولو درجة واحدة.» نظر إلى وجهها بابتسامة توحي بالإنذار. «يجب على الجبناء أن يتعلموا أنه من الأسهل مواجهة الأمور بدلاً من الفرار لأنهم، مهما اسرعوا بالفرار، سيجدون أن القدر أسرع.»

شارلوت لامب

ولدت شارلوت لامب في لندن خلال الحرب العالمية الثانية، وأمضت معظم سنوات الحرب متنقلة من قريب إلى آخر هرباً من القصف الجوي. تلقت علومها في دير وتزوجت من صحافي، وعندها الآن خمسة أولاد. تقيم العائلة حالياً في آيل أوف مان. كتبت شارلوت لامب ما يناهز المئة رواية نشرت معظمها دار ميلز اند بون.

www.elromancia.com

الفصل الأول

كانت وسائل الإعلام والصحافة تدعوهم بـ «آل ميلفورد الرائعين.» وفي مناسبات كهذه، فكرت صغيرة العائلة، أن هذه التسمية لا تليق بهم. فها هي ذي تتأملهم وهم متحلقون حول البيانو، منبهرون بعيون الحضور المسلطة عليهم مثل الثريا المعلقة فوق رؤوسهم.

كانت الفرد الوحيد من عائلتها التي لم تعتلِ خشبة المسرح، ولم تشارك شقيقاتها التمثيل والغناء. كانت خجول، غير معروفة... تلك الصبية الهزيلة الوجه، السوداء الشعر، المنطوية على نفسها. وقد قالت مرة عندما كانت تتحدث مع سبي: «مكاني بين الآخرين كمكان هرة بين الأسود.»

قال لها سبي: «إننا، جميعاً، كما ولدنا وكما قُدِّر لنا.» وقفت في إحدى الزوايا، من غير أن يلاحظها الحضور الذين كانت عيونهم مسمرة على أفراد عائلتها الساحرة. كانت فيولا تنشد أغنية مرحة قصيرة وهي مقطع من المشهد الذي تظهر فيه. انسدلت خصلات شعرها الذهبية على جبينها. وقد امتنعت، مؤخراً، عن وضع أية مساحيق على وجهها للتجميل... لأن نضارة بشرتها ونعومة جلدها يكفيان لإظهار جمالها. كانت عيناها الخضراوان تتحركان بسرعة، تعبّران عن مرح وذكاء، ولكنهما تقلقان عازف البيانو الجالس أمامها.

أما كليو فكانت عابسة. فهي لا تحب أن تتحول أضواء المسرح عنها، وتُسلط على شقيقتها. مع أنها كانت واثقة من جمالها. فهي أجمل شقيقاتها الثلاث... إنها شرسة كالنمرة. شعرها أحمر ذهبي مسترسل على ظهرها ومنسدل كانسدال ستارة المسرح المخملية. كانت ترفعه أحياناً بتسريحة جميلة تظهر بشرتها الذهبية، فتزداد جمالاً وإغراءً. تذكرت كاثرين طفولة كليو. وكيف تغيرت من فتاة صاخبة تحب الألعاب الصبيانية إلى فتاة جميلة ومثيرة. كان شعرها الأحمر يغطي جبينها ووجهها المغطى بالنمش. كانت تذهب في رحلات صيد إلى ضفاف النهر الذي يمر خلف منزلهم في لندن. أما الآن، فتعتبر كليو نموذجاً للجمال. وصور وجهها وجسدها تغطي غلافات المجلات ولوحات الإعلان ودعايات التلفزيون. لا أحد يحب الشعر الأحمر والنمش على الوجه، ولكن هاتين الصفتين حولتا كليو إلى فتاة من أجمل فتيات جيلها. كانت كاثرين تفكر دائماً بتلك الصبية المشاغبة. كانت تحبها، لذا لم تحاول تذكيرها بطفولتها خوفاً من طبعها الشرس. فكليو عدوانية، وهي تحتفظ بتلك الذكريات لنفسها.

أما شقيقها، كاس، فقد كان تلميذاً فاشلاً ومحتقراً عندما كان في الثانية عشرة من عمره. كان يحب لعبة «الكريكيت» ويظهر دائماً مع مجموعات تمارس هذه اللعبة. وكانت عيناه الرماديتان تعبران عن ثقة بالنفس، فقد كان يعرف ما يريد وكيف يحصل عليه. لم يكن لديه أي اهتمام أو تخطيط عن نوع مهنته في المستقبل. ولكن، كانت له وثبة في الدور القصير الذي أداه في مسرحية «حدود الغرب.»

هذا الدور رفعه إلى مرتبة الممثلين الأوائل. طالما تساءلت كاثرين: هل كاس سعيد في حياته؟ فهو مثلها يحب العزلة والإنغلاق. كانت تنظر إلى وجهه الجذاب الجميل وتتساءل عما يجول في أفكاره؟ وماذا يريد من هذه الحياة غير النجاح؟

أنهت فيولا أغنيتها وصفق الجميع لها تصفيقاً حاراً. تقدم والدها، رالف ميلفورد وقبلها. أحست فيولا بالفخر والرضى. فقد كان الأب يعرف أن أولاده هم امتداد له. كانت عاطفته نحوهم متأثرة بمهنته. شعرت كاثرين بالحزن والكآبة وهي تتأمل والدها على المسرح. فهي تعرف أنه يعتبرها شاذة عن بقية أفراد الأسرة. فخجلها وقلة طموحها دفعا رالف لكرهها. حاولت أن تسترضيه بأن تساعده في الأمور المنزلية. كتحضير الطعام والقيام بأعمال السكرتارية. ولكن ذلك كله لم يكن كافياً لتنال رضاه.

كان رالف مسرفاً في إقامة الحفلات. وسيحتفل اليوم بمناسبة إنتهاء عرض مسرحيته والتي حازت على نجاح باهر. لقد غضب عندما عرض هذا الدور عليه. ولكنه رضي به مكرهاً. وكانت النتيجة أن هذا الدور كان صندوق حظ أوصله لنجاح أسعده وزاد من شهرته.

«كنت أتمنى أن لا أخيف جمهوري الذي أحبني،» قال مرة ذلك لسبي.

فشجعه سبي وقال له: «إنك لا تخطىء عندما تراهم مدهوشين بك.»

كان يوجد الكثير من الصحافيين في حفلة اليوم. رأت كاثرين «رودي سامنر» كان يرتدي بدلة مخملية وقميصاً

حريرياً تزينه ربطة عنق جميلة تزيد من أناقته. كان يخبر كليو قصة ذلك النجم الأميركي. الكل يعرف هذه القصة. لقد سمعتها كليو قبل الآن. ولكنها كانت تصغي إليه باهتمام، وكأنها لا تعرف شيئاً عنها. كانت تحب أن تشغل الجميع بها. فقد تعرض ذلك الرجل المسكين لأزمة عائلية، أثرت على أعصابه. فذهب إلى أحد مطاعم لوس أنجلس وأخذ يشرب حتى فقد السيطرة على أعصابه، ثم جال في الشوارع وهو يغني بصوت مرتفع، مما جعل الناس يتجمهرون حوله ويسخرون منه. وقد التقط له أحد الصحافيين صوراً نشرت على صفحات الجرائد والمجلات.

«مسكين بيار العجوز.» تمتم رالف عندما انضم إلى إبنته. «إنها المرة الأولى التي يتعرض فيها ذلك المسكين إلى موقف محرج كهذا، ولكنه ظُلم، فقد كان الجميع متلهفين لمشاهدة سقوط نجم لامع عن عرشه.»

قالت له كليو: «إنها الطبيعة الإنسانية.»

لقد أسرف المدعوون في الشرب هذه الليلة. لم تتوقع كاثرين رؤيتهم على هذه الحال. أشار إليها سبي، ففهمت معنى الإشارة. اتجهت نحو والدها وقالت له: «أرى أن هناك ثعلباً بين الدجاج.»

«إبتعدوا عن الشراب.» قال رالف ذلك مازحاً، بعد أن فهم إشارة كاثرين. لكن كلامه نبههم وجعلهم يخففون من الشرب. كان بين سبي وكاثرين تفاهم واضح.

إبتعد رودي سامنر عن كليو. والتقط ذراع كاثرين بينما كانت تمر بالقرب منه. إنه الصحافي الوحيد الذي يعرفها. وقد كانت تستغرب مجاملته لها. ورودي رجل وسيم، طويل

القامة أسمر اللون. وكان محبوباً جداً، فهو نكي سريع البديهة، قادر على تذكر وجه أي إنسان يقابله ولو لمرة واحدة. إنها إحدى خصال الصحافي الناجح. كانت كاثرين تتساءل عن سبب ملاطفته لها. فهي لا تفيده في مهنته ولا تغريه بجمالها.

حدق بعينيها وقال: «أظن أنك تعرفين من أنا؟» قال ذلك وهو يضغط على ذراعها.

ضحكت وأجابت: «طبعاً! فقد تقابلنا في مناسبات عديدة.»

فسألها مستوضحاً: «إذن لماذا تنظرين إليّ وكأنك ترينني لأول مرة؟»

أحست بالدم يتدفق صعوداً نحو وجنتيها. وقالت بخجل: «أنا؟ ليس لأني لا أعرفك، ولكن، كنت أظن أنك لا تعرفني.»

فكر قليلاً وهو يتأملها. «كم أنت متواضعة، يا سندريللا! لا أحد يعرفك؟ هذا لأنك تختبئين وتخفين نفسك عن الأنظار. أنت وحدك القادرة على تقييم نفسك.»

«أتراك اسرفت في الشراب؟» تساءلت عندما وجدت نفسها تسأله دون ارتباك. «إذن، لماذا تهتم بي؟»

«أهتم بماذا؟»

«بي! لماذا لا تتجاهلني مثل غيرك من المدعوين؟» أحست وكأن شيئاً ما يدفعها إلى الكلام. هل تشجعها نظراته المرحة ووجهه السموح على الاسترسال في الكلام؟

قال برقة: «أنا أهتم بك، لأنك تختلفين عن بقية أفراد عائلتك.»

نظرت إليه بدهشة. «هكذا إذن!» قالت ذلك وهي تبتسم،

ولكنها اعتذرت قائلة: «إن سبي يشير إليّ، فهو يريدني ان أساعده في بعض الأعمال.»

تجهم وجهه وأمسك بذراعها «انظري إليّ، فأنا لم أُنهِ حديثي بعد...»

«ليس هناك من أمر ضروري لإكمال حديثك.» قالت ذلك وهي تحاول الإفلات من يده: «فأنا أعرف جيداً الفرق بيني وبين أخواتي... فأنا غير الطبيعية بينهن، البطة البشعة بين الأوزات الجميلات.» ضحكت وتابعت: «لكنني اعتدت على هذه الحال. لا تحزن، فأنت لم تجرح شعوري.»

لحقتها نظراته وهي تعبر الغرفة، كانت جبهته متجعدة من شدة الغضب. فجأة لفت انتباهه فوضى عند الباب. التفت، ليرى دودي الكسندر وقد وصلت لتوها، مرتدية ثياباً حريرية، وقد خطفت بأناقتها وجمالها الأنوار التي كانت مسلطة على عظمة آل ميلفورد. كانت جميلة وهادئة عندما مشت على المسرح، وكأنها تعرض للناس مقاييس جديدة للجمال.

راقبها رودي وتساءل... ما السر في جمالها؟

ها هي ذي تتكلم، تقبل رالف وتعانق آخر، وترسل نظرات داكنة معبرة ومثيرة إلى البقية.

كان الرجل الطويل الذي يقف وراءها يبتسم متأملاً المعجبين حولها. التفتت دودي نحوه وأمسكت يده وكأنها تريد أن تشعره بثقتها به وحبها له.

«أهكذا تهب الريح؟» علق رودي وصفّر بهدوء ليعبر عن إعجابه. فقد كانت دودي متزوجة من جاك ساندون واستمر زواجهما السعيد حوالي عشر سنوات. ولكنها صدمت بموته

المفاجيء منذ شهرين. وغرقت في أحزانها لعدة أسابيع. وها هو ذا ماكس نيلسون يعيد إليها ابتسامتها وإشراقها.

كان رودي معلقاً إجتماعياً. وصفحته مليئة بالوقائع المثيرة والشائعات وكشف الأسرار. وحفلات كهذه تساعده على اصطياد معلومات جديدة.

قال سبي لكاثرين: «إنهم يفرطون الشرب.»

لقد كان حزيناً، شاحب الوجه. تذكرها تجاعيد وجهه بالخطوط التي يرسمها المهرج على وجهه... عيناه داكنتان وأنفه كبير. كان يحرك كتفيه عندما يتكلم بطريقة تفسر معنى كلماته.

كان سبي من سلالة روسية. وكان يساعد والدها في ارتداء ملابسه لمدة طويلة من الزمن. وقد انتقل إلى منزلهم بعد وفاة والدتها. وكانت كاثرين، آنذاك، في العاشرة من عمرها، وبدأ بالاهتمام في الأعمال المنزلية. لقد أنقذ العائلة من الضياع. فقد كانوا غير قادرين على الاهتمام بأنفسهم، ولا يعرفون أي شيء عن الأعمال المنزلية. وقد مضى على وجوده عندهم حوالي عشر سنوات. فهو عمودهم الفقري ومنظم أمورهم وسيد دارهم.

عندما تركت كاثرين المدرسة، بدأت في مساعدة سبي. كانت تحب البقاء في البيت. لم تكن تفكر في انتقاء مهنة، فهي تخاف مواجهة الناس. لهذا فضلت أن تتوقف عن متابعة دراستها. كانت تحلم بأن تصبح مثل أمها. تريد أن تطبخ، وتنظف، وتخيط وتعتني بالأمور المنزلية. كانت متعلقة بذكريات طفولتها. فقد كانت تجلس بالقرب من أمها في المطبخ، تراقبها وهي تغسل الصحون، أو تكوي

الملابس أو تصنع الخبز. كانت تسترجع الماضي ويمتلكها الشرود عندما تشم رائحة خبز أو رائحة غسيل.

لقد سمعت والدها يقول مراراً: «إني شاكر لأنها لا تحب المسرح، يا لها من طفلة مسكينة!»

وكانت كليو تقهقه ثم تمسح وجهها النضر «إنها تحب البيت وهي متعلقة بكل قطعة أثاث فيه.»

أحبت كاثرين سبي كثيراً، أحبته كما تحب والدها. كانت تتعلم منه كل ما يتعلق بالأعمال المنزلية، وهي تراعي شعوره وتعامله بكل احترام ومودة.

وها هي ذي تقول: «هل لي أن أصرخ لأطلب المزيد؟» جاء شخص ما من فوق كتفها وقدم لها زجاجتين من الشراب قائلاً لها: «هذه هدية من دودي،» وكان صوته مألوفاً.

ابتسم وجه سبي الحزين. «شكراً مدام!» كان دائماً يدعو دودي بكلمة «مدام.» لم تسأله كاثرين عن السبب لأنها كانت تعرف أن سبي يحترم دودي، ومن لا يحترمها؟

«وكيف حال الصغيرة كاثرين؟» سمعت صوتاً خلفها. التفتت إلى الوراء، لترى وجه ماكس نيلسون الباسم. إنه الوحيد الذي تكرهه بين كل الممثلين الذين قابلتهم. لقد انتقل إلى هذه الناحية مؤخراً، كانت تعرف أنه يخطط لإقامة مهرجان في «كانت ويتش» وهو بيت «باسكال فلينت»، الكاتب المسرحي الشهير والذي يقام فيه احتفال كل سنة لتخليد ذكراه بمناسبة مرور مئة عام على وفاته. كان فلينت إنساناً وضيعاً سكيراً، ولكن نجاح اثنتين من

مسرحياته الكلاسيكية، كانتا سبباً لشهرته. ويعتبر «كانت ويتش» مكاناً جيداً لتخليد ذكراه.

راقبها ماكس وابتسم عندما قال هامساً في أذنها: «أهنئك على هذا الديكور، إنك وسبي تؤلفان فريقاً رائعاً»

تعجبت لملاحظته. لا أحد يعرف أنها قد قامت وسبي بتغيير «ديكور» الغرفة. لقد استغرق حوالي ستة أسابيع لإزالة ورق الجدران الصيني، وإعادة دهنها. وتغيير لون السقف. وتلميع خشب المفروشات. لقد أصبحت الغرفة نسخة مطابقة عن غرف الرجال الكلاسيكية في القرن الثامن عشر، إنها رائعة وأنيقة. في البداية غضب «رالف» من اسرافها في تكاليف تجهيز الغرفة، خاصة عندما غيرت الستائر والسجاد. ولكنه سرّ عندما رأى نتيجة العمل الرائع. وأكثر ما أسعده هو الموقد الرخامي. وها هو ذا اليوم، مزين بكثير من الأزهار الصيفية، أما في الشتاء الماضي فقد كان يزين وسط الغرفة، بواسطة شعلة ملونة.

سألته في أدب وخجل: «كيف هو مهرجانك؟»

فأجابها: «تلعب دودي دور إيانس في الهازارغرين»

فأومأت برأسها: «ستصيب نجاحاً باهراً، بلا شك»

هذه المسرحية مشهورة جداً ودودي محبوبة لدى الجمهور، فأردف قائلاً: «أريد أن يأتي رالف وكليو ويقوما بدور الخدم.»

نظرت إلى الوراء بدهشة «يا إلهي! إن رالف أكبر سناً من أن يؤدي دور...»

«أريده أن يؤدي دور الخادم.» قال ماكس ذلك وهو يتأمل تعابير وجهها.

وبدا عليها الانفعال. «هل أخبرته بهذا؟»

«ليس بعد، هل تعتقدين أنه سيرفض؟»

«إنه دور بسيط.»

«ولكنه رئيسي.»

فقالت: «سيظهر في المشهد الأخير فقط.»

فأجاب بهدوء: «ولكنه يرمز إلى مغزى مهم.»

وظهر عليها الحزن: «الأفضل أن لا تخبره.»

«هل تعتقدين أنه سينزعج؟»

قالت له بغصة: «سيشعر بالإهانة.»

ضحك ماكس. «إنك على حق، سنرى ما نستطيع عمله في هذا الشأن.» ثم غيّر الموضوع. «سيكون صديقك نيكي معنا في «الكانت ويتش» وهو سيؤدي دور الصبي في «الهازار غرين»

توردت خجلاً. «إنه شيء رائع. لماذا تقول «صديقك» إنه صديق العائلة كلها...»

فقال مؤكداً: «وبالأخص أنت، كما أعتقد، والذي أعرفه هو أنه ليس صديقاً لكليو... فهي تكرهه.»

«آه، كليو، كانت تتجنبه لأنها...» أحست بالدم يتدفق إلى خديها.

فسألها بفضول: «لأنها ماذا؟»

لأنها لم تشعر بأنه يحبها بجنون، فهي تريد أن يغرق الجميع في حبها. كادت أن تخبر ماكس بهذا الأمر، ولكنها هزت رأسها «لا شيء. أرى أن دودي تفتش عنك...» ونظرت من فوق كتفه.

أقبلت دودي نحوهم. كانت عيناها تبتسمان بدفء لكاثرين. كانت كاثرين تشعر بحنانها منذ كانت في السادسة

من عمرها. فقد كانت تدعوها دائماً «الحبيبة كاتيا...» كانت دودي مثل سبي تحب رد الاسماء إلى اللفظة الروسية. كانت تحب تغيير اللفظ لتظهر تحبباً وغنجاً لها. «كيف حالك؟ أنت تبدين جميلة في هذا الثوب الناعم، ولكن عليك أن تستشيري كليو لتساعدك في اختيار ثوب أكثر أناقة لهذه المناسبة، حتى لا تبدو أخواتك أجمل منك.» أشارت إليها بأصابعها. «لا تعزلي نفسك، حبيبتي كاتيا، فالجمال تصنعه المساحيق، وهو زائل لا يدوم. الجمال جمال النفس. وجمال المظهر تستطيعين أن تلبسيه وتخلعيه كالمعطف. وابتسمت كاثرين «نعم، يا عزيزتي دودي.»

لم تنخدع دودي، وهزت رأسها قائلة: «آه، أنت تقولين هذا لترضيني، ستبقين كما أنت! طفلة عنيدة!»

وتدخل ماكس قائلاً: «إنها بالفعل كما تقولين، يوجد عدد كافٍ من اللامعين في عائلة ميلفورد، فاتركي هذه الطفلة وحدها، يا دودي.»

نظرت إليه دودي «ما الذي تعنيه، يا ماكس؟ أنتم معشر الرجال لا تعرفون شيئاً عن هذه الأمور، ولا تفهمون عواطف المرأة.»

انسحبت كاثرين من بينهما وذهبت لتلاقي سبي. كان يصب شراباً زهري اللون في كؤوس بعض الصحافيين. نظروا إليها نظرة لا مبالاة، ثم انصرفوا إلى الجهة الأخرى من الغرفة، حيث تقف كليو. كانت تشع بالحياة، وتؤدي حركات تجعلهم يضحكون لها ضحكات من القلب.

«أريد أن أقدم لهم هذا الشراب، لقد أعطتني «المدام» زجاجتين. سأقدمهما لهم، على أمل أن لا يطلبوا المزيد.»

قالت له كاثرين: «أنا متعبة، لقد حرق أحد المدعوين البيانو بسيجارته. وهناك رماد على السجادة بالقرب من الموقد الرخامي.» وتنهدت بعدما أنهت حديثها.

قال سبي ساخراً: «وها هو ذا ماكس نيلسون يصل الآن، رأيته يتكلم معك، كيف تتحملين ثقل دمه؟»

«إنه رجل ثقيل الظل، ولكنه واسع المعرفة، ملمّ بكل الأمور.»

قال لها سبي: «إنه ذكي.»

«نعم... إنه ذكي جداً. ولكنه يخيفني.»

«ألاحظ أنه يتودد إلى «المدام» بعد وفاة زوجها.» تمتم سبي. فهو يسامح كل شخص يحسن معاملة دودي.

فقالت له كاثرين وهي تضحك: «ربما هو يحبها.» وبدت فكرة وقوع ماكس في الحب مسلية.

رمقها سبي بنظرة غضب، لكنها استطاعت أن تهرب من وجهه، عندما تقدم بعض المدعوين نحوهما. وطلبوا المزيد من الشراب.

وهكذا، سيبقى نيكي في «كانت ويتش» طيلة فصل الصيف. فكرت في ذلك والحزن بادٍ على وجهها. فهو لم يخبرها بالأمر، وهو يعلم منذ مدة. ولكن، لماذا أخفى هذا الأمر عنها؟ أيريد إغضابها؟

شعرت بغصة في حلقها وبتورد وجنتيها عندما فكرت به. فهو يعلم جيداً شعورها نحوه. لماذا كنت ساذجة وواضحة معه؟ سألت نفسها وقد شعرت باليأس. كان من الأفضل لي أن أحتفظ بأسراري لنفسي.

ربما لأن نيكي يتمتع بكل صفات آل ميلفورد المميزة...

فهو ابن عمها، وهي تعرفه منذ طفولتها. ولكنها أُغرمت به خلال السنة الماضية. عندما كانوا يمضون عطلتهم في «بروفانس». لقد أثر عليها الجو الدافىء هناك. الأيام الحارة ورمال الشاطىء ونجوم الليل، كلها لعبت دوراً في أحاسيس هذه الصبية إبنة التاسعة عشرة المتشوقة للحياة والمتلهفة للحب. وكان نيكي يجمع كل الصفات التي جعلتها تقع في هواه.

أمسك نيكي يد كاثرين وسارا معاً في ظلام حديقة الفيلا. كان الجو شاعرياً، والهواء دافئاً عليلاً ونور القمر خافتاً. وقبلها واضعاً يديه حول خصرها. ولكن فجأة، ظهرت كليو، كانت نظراتها الساخرة تؤنبها. لم ترحمها. وانهالت عليهما بكلمات قاسية. فهي لا تغار، ولا تريد نيكي لها. ولكنها تكرهه لأنه الوحيد الذي لا يبدي أي اهتمام بها. كل الرجال كانوا يتأثرون بجمالها، إلا نيكي الذي فضل عليها شقيقتها الخجول.

عند عودتهم من لندن، لاحظت كاثرين أن نيكي قد تغير. كان يقبلها كلما قابلها. كان حبه لها حباً روحياً ولم يظهر أي رغبة في تعميق جذور هذا الحب. ولكنه كان يعرف شعورها تجاهه، فهي تحبه حباً حقيقياً.

لمحت نفسها في مرآة معلقة على الحائط، فرأت أمامها فتاة هزيلة شاحبة. على خديها بقعتان حمراوان، تعلوهما عينان زرقاوان حزينتان. وكرهت نفسها. لماذا لم تولد كواحدة من عائلة ميلفورد الرائعات الجمال؟ لماذا هي وحدها، وليس أحد غيرها، بشعرها البني الباهت وملامحها العادية؟

ابتعدت عن المرآة وهي تعض على شفتها. لا بد من أن نيكي كان سيحبها لو كانت جميلة.

انتبهت دودي الكسندر، وقالت لماكس نيلسون: «أنظر إلى تلك الطفلة الحزينة فهي تبدو في هذه الملابس وكأنها تلميذة مدرسة. جسمها جميل وعيناها رائعتان. حاولت أن أدفعها إلى الطريق الصحيح. فبضع لمسات تجعل منها فتاة جميلة، ولكنها ترفض التطور.»

فقال ساخراً: «إنها ترفض المنافسة. لو كنت أنت الصغرى في عائلة ميلفورد، لكنت كافحت لتصبحي في المقدمة... أو تنسحبي نهائياً.»

«هذا ما فعلته كاتيا.» نظرت إليه بعينيها الداكنتين اللتين تشعان ذكاءً. «أرى أنك على حق، يا عزيزي.»

فابتسم لها: «أنا دائماً على حق.»

فوافقته الرأي: «وهذا ما لا يعجبني فيك. هذه الطفلة تكرهك! أليس كذلك؟»

نظر إلى الأسفل عبر أنفه الطويل وابتسم ابتسامة خفيفة. «إن كل عواطفها مكتوبة على وجهها. حقاً انها فتاة معبرة.» نظرت إليها دودي وقالت متعجبة: «بهذه الملامح تستطيع أن تكون ممثلة عظيمة، لا أدري لماذا ترفض دائماً.»

«لقد أخبرتك عن السبب.»

«لقد فعلت، من المؤسف أن لا تستغل موهبتها، ولماذا نضيع الوقت وهناك شيء نستطيع القيام به من أجلها؟»

قال لها بغموض: «هناك حل!»

جاءهم رودي سامنر مبتسماً. «تبدين رائعة، يا دودي.» قال ذلك ثم قبل يدها.

نظرت إلى ماكس من فوق رأس رودي المنحني أمامها.
«شكراً، يا عزيزي.» ثم أضافت: «هل أخبرك ماكس عن مشاريعه المتعلقة بالمهرجان؟ إسأله عنها...»

اقترب كاس ميلفورد من كاثرين. «أنت تبدين كالملاك الحزين. ما بك؟ لا تقولي انه لم يعد هناك شراب؟ هل تقدمين لي كأساً؟»

ابتسمت له وقالت: «لا، إذ أن سبي يستطيع أن يسيطر على كل الأمور. لقد استبدل شراباً بشراب. أنظر إلى فيولا، كم هي سعيدة.»

نظرا إلى وسط الغرفة، حيث كانت فيولا ترقص بحماس مع شاب نحيف يرتدي قميصاً أخضر. كان يضحك مسروراً، ولكن كاثرين لاحظت شيئاً ما، وراء ابتسامة تخفيها عيناه الزرقاوان.

قال كاس: «أرجو أن لا يكون متيماً بفيولا، فالرجل الذي يتقدم للزواج منها عليه أن يقدم لها أواني ملآى بالنقود. ووالد «جيف» في طريقه للمليون الأول.»

«هل تعتقد أن جيف سيتزوج من فيولا؟» لم تكن كاثرين متأكدة عندما سألت هذا السؤال. ذلك أن فيولا فتاة لعوب. فهي تحب المرح والممازحة وحتى مضايقة الناس من حولها. من الصعب أن تقع في الحب. فهي فتاة ذكية، جذابة ولكنها أنانية.

توقف جيفري فارمر عن الرقص ونظر إلى فيولا. كانت نظراته تعبر عن حب وإعجاب. أمسك بيديها، قبلهما ثم دار حولها راقصاً حتى أنه كاد يرتطم برالف ميلفورد.

كان جيفري يتكلم بصوت مرتفع. حدق رالف إليه، ثم نظر

إلى فيولا وإليه مرة ثانية. ثم أمسك وجه فيولا وقبلها فوق جبينها وكأنه يؤدي دوراً على المسرح.

«سيداتي، سادتي!» صرخ رالف بالحضور وهو يرفع يده لإسكاتهم. «اسمعوا... إن طفلتي الحبيبة والرائعة فيولا ستتزوج قريباً...»

ضحك الجميع، وانطلق عازف البيانو بعزف مقطوعة «ها قد أتت العروس...» قفزت كليو من مكانها وعانقت شقيقتها ودموع الفرح في عينيها. «حبيبتي، يا له من خبر مفرح!»

وارتفع الضجيج في الغرفة وتجمهر الناس حولهما. نظرت كاثرين إلى كاس متعجبة. «لقد حزرت، أنظر إلى فيولا، إنها تحب أخيراً.»

«أنا لم أقل أنها هي التي تحب، لقد قلت لك أن جيف هو الذي يحب. لم أتكلم عن فيولا أبداً.»

فقالت محتجة: «ولكنها قبلت به.»

«إذن؟»

«لو لم تكن تحبه لما قبلت به زوجاً.»

«أعتقد أن هناك أسباباً كثيرة غير الحب، هناك مليون سبب.»

سمعت صوتاً وراءهما يرتفع قائلاً: «إن المصالح الذاتية تهيمن على سلوكها، يا صديقي العزيز.»

ها قد ظهر ماكس نيلسون البغيض مرة ثانية. شعرت كاثرين بغليان دمها. إنها تكرهه. نظرت إليه وقالت موجهة حديثها إلى الإثنين: «حسناً، لا أظن أن الزواج هو من أجل مصلحة مالية فقط. إن فيولا تكسب الكثير من المال من

الحفلة. كانا يعملان بصمت. لقد كانت كاثرين متعبة، استلقت على السرير. لم تستطع إبعاد صورة الحفلة عن مخيلتها، مما منعها من النوم. تخيلت وجه فيولا الفرح وهي تنظر إلى خطيبها. تراءى لها ماكس بضحكته الساخرة. وكذلك نظرات كاس اللاذعة. شعرت برابط واحد في تعابير وجوههم، وتمنت لو تستطيع أن تمسك بطرف هذا الخيط.

وراء شهرتها فهي ليست بحاجة لأن تتزوج زواج مصلحة.»

قال كاس مؤكداً كلامه: «ولكن فيولا تنفق الكثير، إنها مسرفة.»

«هذا صحيح، فهي مسرفة أكثر من كليو!»

قال ماكس ساخراً: «لقد تبنت أختك أوهاماً. عن الحب العاطفي، لا تحطم هذه الأوهام، يا كاس، فالشباب يحتاجونها.»

تنهد كاس قائلاً: «لقد كنت شاباً في السنة الماضية، وأشعر أني كنت في الجحيم.» ابتسم وانسحب من بينهم.

قال ماكس متعجباً: «أرى أخاك حاملاً هموم العالم كله!»

رفعت كاثرين كتفيها وقالت: «من الصعب أن تفهم عقلية كاس.» أرادت أن تدير ظهرها لماكس. ولكنها ترددت... عليها أن تحافظ على لياقتها. تابع ماكس حديثه: «إنه ذكي جداً.»

«آه، لا أحب أن أتدخل في شؤونه،» قالت كاثرين ذلك محاولة أن تنهي حديثها معه.

ضحك ماكس. فنظرت إليه كاثرين بغضب، وقالت ببرود: «أعذرني، عليّ أن أذهب لتهنئة فيولا.»

فوافق ببرود: «حقاً، إنها تستحق التهنئة. لقد رمت الصنارة بمهارة، أتمنى أن تكون النتيجة موفقة وتصل إلى الهدف الذي ترمي إليه.»

«إنك إنسان قاسٍ، أنت وحش ظالم!» انفجرت كاثرين وركضت تبتعد عنه. كانت تبدو مرعوبة وخائفة. إنها حقاً تمقته.

قام سبي وكاثرين بتنظيف الغرفة وترتيبها بعد انتهاء

www.elromancia.com

الفصل الثاني

في صباح اليوم التالي، بدأت كاثرين وسبي في تنظيم البيت وتنظيفه من تلك الفوضى التي سادته بعد الحفلة. كان عملهما روتينياً. نظفا الأرض ولمعا الأثاث في غرفة الاستقبال. شعرت كاثرين بالفرح عندما رأت الغبار يسبح في شعاع الشمس المنعكس عبر النافذة. عملت بهدوء وصمت لكي لا تزعج باقي أفراد عائلتها النائمين. هدوء الصيف المميز كان يسيطر على البيت. لقد بُنيَ هذا البيت، المميز بطوله وقلة عرضه. وقد أبدع بانيه بتقسيم غرف البيت، وجعل مساحة بين غرفة الاستقبال وغرف الخدم التي قسمها إلى غرف انتظار للخدم وغرف للنوم جعلها في الطابق الأرضي.

كانت النوافذ الخضراء الكبيرة تطل على حديقة خضراء موشحة بألوان مختلفة من الورود والأزهار. من خلالها يظهر نهر، تعكس عليه أغصان الأشجار التي تطل عليه، لونها الأخضر. منظر هذا النهر خلاب إن نظرت إليه عن بعد. ولكن إن اقتربت منه وجدته موحلاً ومتسخاً ومليئاً بالحطام.

لقد طلبت فيولا من كاثرين أن توقظها عند الساعة العاشرة صباحاً. أخذت كاثرين صينية وضعت عليها عصير البرتقال وقطعة من الخبز الفرنسي وفنجاناً من القهوة السوداء. جلست فيولا ثم تثاءبت «أهي العاشرة؟... يا إلهي...»

سألتها كاثرين: «هل أجهز لك الحمام؟»

«ليس الآن.» جلست فيولا في سريرها ورفعت ركبتها. كانت تغطيها بقطعة قماش من القطن. حركت رأسها فانسدل شعرها على كتفيها. حتى بان وكأنه ليس بحاجة لأن يصفف. وسألت شقيقتها: «ما رأيك بجيف؟»

«إنه يبدو لطيفاً.» أجابت كاثرين دون أن تفكر. فهي لا تكاد تعرفه، ولكنها تذكرت ما قاله كاس عنه. هل تتزوجه فيولا من أجل ماله؟ أم هل أن كاس أراد أن ينتقد الاثنين فحسب.

أعجبت فيولا بوصف كاثرين لجيف. «إنه لطيف... أليس كذلك؟ أنا سعيدة بأنه يعجبك.» نظرت إلى شقيقتها من خلال أهدابها الطبيعية الباهتة. فقد كانت الأهداب المزيفة في العلبة على الطاولة بالقرب من سريرها. تسللت أشعة الشمس عبر النافذة ووصلت إلى وجه فيولا فلمعت أطراف أهدابها. «كوني لطيفة معه، يا عزيزتي، أرجو أن تصادقيه. أشعر كما شعرت والدة دانيال وهي تنظر إليه يدخل عرين الأسود... أذكر كلامك عنا، فأنت تسميننا أسود عائلة ميلفورد. هل تتذكرين هذا؟ إنك فتاة رزينة ومضحكة.»

لا يعني اهتمام فيولا بجيف إلا الحب. كليو وكاس سيحاولان حتماً مضايقته، فهما لا يحتملان الأغبياء كثيراً. ولكن فيولا معروفة بلسانها اللاذع. فقد حاولت كاثرين في الماضي أن تزعجها بعمل ما. فما كان من فيولا إلا أن أنبتها بكلمات لاذعة.

تناول رالف فطوره وكان عبارة عن فنجان شاي

وشطيرتين من الزبدة ومربى الكرز... مزيج خاص من الفطور الانكليزي الأوروبي.

قال لها: «يجب أن أقيم حفلة عشاء على شرف فيولا وزوجها العنيد. هل نقيم حفلة، عائلية، يا كاثرين؟ أم ندعو بعض الأصدقاء أيضاً؟»

«عليك أن تسأل دودي...» أشارت إليه.

أجابها: «وهي ستدعو ماكس نيلسون على الأرجح، إنه أصغر سناً منها، ولكنه يتمتع بالدهاء والذكاء.» دفع الصينية بعيداً عنه. «ستكون لدي فرصة لأرتاح هذا الصباح، سأرتدي ثيابي وأذهب في نزهة مشياً على الأقدام. سأتسوق، هذا ما سأفعله اليوم. سأذهب إلى السوق لأشتري بعض الحاجيات... إنني بحاجة لربطات عنق جديدة وجوارب... وقد أصبحت قمصاني بالية...»

نظرت إلى خزانته المكدسة بالثياب وقالت: «مسكين يا أبي! إنها ثياب رثة!»

فقال بوقار: «لا تسخري مني يا فتاتي الصغيرة، بماذا أشغل نفسي؟» خيم الحزن على نبرات صوته. «لقد انتهى دور أوتيللو...»

«آه، يا عزيزي.» وأحست بغصة في حلقها.

كان سبي يقشر بيضة مسلوقة. إنه يحضر طعاماً بارداً... في فصل الصيف يتناولون غداءهم أحياناً تحت ظل شجرة الإجاص في الحديقة. بدأت كاثرين بغسل الأواني وهي تمتم: «إنه قلق ومضطرب. أريده أن يرتاح قليلاً.»

لقد تناول كليو وكاس فطوراً خفيفاً مؤلفاً من عصير البرتقال وقهوة سوداء. لو نهضا باكراً وشاهدا فطور

كاثرين وسبي المؤلف من الجبن والخبز المحمص والمربى والبيض المسلوق وأكواب الشاي، لكانا رفضا فطورهما. ولكن هي وسبي يحتاجان إلى وجبة كاملة ودسمة ليستطيعا القيام بالأعمال المنزلية الشاقة.

نظر سبي بعينين داكنتين حادتين وسأل: «لماذا لا نتصل بالسيد نيلسون؟ سندعوه لتناول الغداء معنا.»

«المهرجان؟ آه لو رأيت وجه أبي عندما أخبره ماكس بالدور الذي سيقوم به؟ شعرت بأنه سيزأر بوجهه كالأسد الغضبان.»

فقال سبي: «لو يعطيه دوراً يزأر به كالأسد. إن إلغاء دور الإنسان من عمله شيء مزعج.»

فقالت كاثرين: «إنه لم ييأس بعد، لقد بدأ بالتوقف عن العمل منذ هذا الصباح فقط.»

فهز سبي برأسه: «أعطه مهلة عشرين دقيقة وسترين.» وهذا ما يحصل بالفعل. فقد كان رالف يشعر وكأنه روح ضائعة بلا جسد. ترددت قبل أن تتوجه نحو الهاتف.

أجاب ماكس، ولكنها تظاهرت وكأنها لم تعرف صوته: «هل أستطيع التكلم مع السيد نيلسون؟»

«أنا السيد نيلسون، يا عزيزتي.» لقد عرف صوتها وعرف أنها تتظاهر بعدم معرفته.

تابعت عنادها وقالت: «أنا كاثرين ميلفورد، يا سيد نيلسون.»

فتابع كلامه: «أعرف هذا. في أي وقت عليّ أن أحضر؟»

تضايقت من معرفته لكل الأمور قبل حدوثها. «نتناول طعام الغداء عند الساعة الواحدة. أو بالأحرى... الثانية عشرة والنصف.»

فضحك. «حاولي أن لا تكوني منزعجة عند حضوري، فلا ذنب لي إذا كانت عندي حاسة سادسة!»

«كيف عرفت سبب مكالمتي؟»

«أنا أعرف رالف. فهو يكره التوقف عن العمل. وأنت لم تذكري له فكرتي بعد...»

فتابعت: «طبعاً لا، أرى أنه من الأفضل أن تطرح الفكرة بنفسك.»

فقال ساخراً: «آه، يا لك من فتاة حكيمة. وجبانة أيضاً... ماذا ستحضرين للغداء؟»

فقالت: «مايونيز السلمون، وصلصة البيض وبودنغ الصيف.»

«بودنغ الصيف؟ إنه لذيذ! لم أتذوقه منذ عدة سنوات. ماذا تضعين فيه من الفواكه؟»

فقالت: «عنب أحمر وتوت بري.»

قال لها: «لا أستطيع الإنتظار.» ثم قطع الإتصال.

وضعت كاثرين السماعة بهدوء في مكانها. نظر إليها سبي عندما عادت إلى المطبخ وقد احمرت وجنتاها. «هل تشعرين بالحر؟ إذهبي إلى الحديقة وتمتعي بالهواء البارد تحت ظل الشجر هناك.»

فقالت: «لأطعم الذباب! لا شكراً، سأبقى هنا لأحضر الفاكهة اللازمة لصنع البودنغ.» لقد قام سبي بشراء ما يحتاجونه من خضر وفاكهة. فالذهاب إلى السوق هو إحدى أهم المتع عنده. فهو يحب أن يحمل السلة ويجول بين باعة الخضر والأسماك، يختار أفضل الأنواع. إنه يحب الثرثرة مع الباعة ومع من يصادفهم من الأصدقاء، في الصيف أو

في الشتاء فمتعة التسوق هذه، تبقى هي المفضلة لديه في أي وقت وفي أية ساعة من ساعات اليوم.

إنتهت كاثرين من تحضير الفاكهة وأشار إليها سبي لكي تلحق به إلى الحديقة. حمل فنجاناً من القهوة في يد ومجلة في اليد الأخرى. كان رالف قد سبقه إلى هناك، وكأنه قد عرف بقدوم ماكس. لأنه سأل سبي عن موعد وصوله. خرجت كليو ترتدي ثوباً قصيراً وفي يدها زجاجة زيت واقٍ من أشعة الشمس.

«يجب أن أتعرض للشمس حوالي نصف ساعة لأحافظ على لوني البرونزي.» قالت وكأنها تكلم نفسها، ثم مدّت منشفتها الملونة على الأرض.

قالت لها كاثرين: «سيأتي ماكس ليتناول طعام الغداء معنا.»

«حقاً؟» فتحت كليو عيناً واحدة وقالت: «كم أتمنى أن لا يجلب دودي معه.»

«كيف تقولين هذا؟ إن دودي طيبة القلب.»

«هكذا يقول الجميع.» ومسحت الزيت بنعومة على جسمها ومدت ساقها بلونها الذهبي وبدأت تغطيها بالزيت مما زاد من لمعانها. «تخيلي زواج فيولا من ذلك الشخص الممل! هل تصدقين ما يجري؟ أنا لا أستطيع احتمال هذا الأمر.»

فقالت كاثرين: «أعتقد أنها مغرمة به.»

كانت كليو تمسح جسمها بنعومة، معجبة بمفاتنها. كانت كالهرة التي تنظف نفسها لتتباهى بجمالها.

«إنك بسيطة وطيبة القلب. فأنت لا تعرفين فيولا، إنها

أنانية. والانسان الأناني لا يستطيع أن يحب سوى نفسه. إعتقدت أنك تعرفين هذا!»

إنه بالفعل ما فكرت به كاثرين هذا الصباح. ولكنها غيرت رأيها عندما تذكرت ملامح وجه فيولا، وهبت للدفاع عن شقيقتها. «على كل حال ذلك لا يغير شيئاً، فهي تهتم به وتريده.»

فقالت كليو: «كل ما تهتم به هو ماله...»

فقالت كاثرين مغيرة الموضوع: «إنتبهي إلى جلدك من أشعة الشمس الحارقة. ستغطيه بقع النمش.»

نظرت كليو إلى نفسها وقالت: «سياو! لقد أصبح للهرة الصغيرة مخالب. من كان يعتقد أن قطتي الصغيرة أصبح لها آراؤها الخاصة!» ضحكت بسخرية وتابعت: «هل تتذكرين أيام المدرسة الحلوة الهادئة؟ لا أعتقد أنه قد تمر علينا أيام أجمل منها. كنا نشعر وكأننا في الجنة. لا نفكر في شيء. نذهب إلى الصيد والإبحار، أيام مليئة بالسعادة والفرح. كنا صغاراً وكنتِ صغيرتنا... قطتنا.»

مرت لحظات صمت سعيدة. قامت بعدها كاثرين لتساعد سبي في تحضير الخضر. عملا بسرعة في تقطيع البندورة وفرم البقدونس وعصر الحامض وعمل المايونيز. عاد رالف ومعه ماكس، فقد التقى به على بعد عدة ياردات من الباب. جلسا على مقعد قديم ليتناولا الطعام البارد على طاولة حديدية بيضاء اللون. أحضر ماكس معه شراباً أبيض. ظللت شجرة الإجاص المكان مما جعل الهواء حولهما ألطف وأكثر برودة. سمعا ضجة حولهما. فقد أسرع كاس لتناول طعامه، وكذلك جاءت فيولا مصطحبة معها جيفري دون أن تعلم عن قدومه مسبقاً.

«طعام رائع.» رفع يده وحيا كاثرين.

«إني سعيدة لإعجابك بطعامي.» قالت وهي تبتسم محاولة أن تشعره بأنه ليس غريباً عنهم. ظهرت فجأة جميلة ولطيفة وجذابة شأن سائر أفراد العائلة.

نظر جيفري إليها بدهشة. فهو لم يلاحظ تلك الفتاة الصغيرة قبل الآن، إنها ليست جميلة ولكن كان فيها شيء ما... جاذبية، إثارة؟...

لاحظ ماكس النظرات وقال: «أرجو أن لا يكون صهر المستقبل قد أعجبك.»

نظرت كاثرين إلى ماكس غاضبة. رفعت رأسها ولم تعلق.

ضحك كثيراً، فقد سُر بهذا الموقف. وضعت فيولا يدها الصغيرة فوق يد جيفري وقالت بدلال: «عزيزي ماكس، أرجوك، لا تضايق شقيقتي الصغيرة هكذا.»

ضحكت كليو فقد تذكرت كلامها مع كاثرين هذا الصباح. «ماكس، دع الكلاب النائمة على حالها، فلن تصدق أن هذه الصغيرة قادرة على العض. فهي أشرس مما تتصور عندما تغضب.»

«حقاً! إني أصدق هذا.» قال ذلك وهو يتأمل كاثرين. «ولكنني مندهش لإكتشافك هذه الحقيقة.»

غضب جيفري لكلامهم المليء بالتهكم. لم تأبه كاثرين لهم. وكأن شيئاً لم يكن... تابعت تقديم أنواع الطعام إلى جيفري. قدمت له قطعة من الحلوى وملعقتين من السلطة وصبت له قليلاً من الشراب.

نظر إليها شاكراً. رأت فيه فتى يافعاً مع أن مظهره كان

يوحي بالرجولة. ضخم الجسم عريض الكتفين. تعرف صحته من لون بشرته النضرة. هل هذا ما جذب فيولا إليه؟ ولكنها راقبت شقيقتها سراً. راقبت ملامح وجهها الجذابة، فمها وأنفها وذقنها والعينين الخضراوين الجذابتين. كل شيء في وجهها يوحي بالجمال. لقد أبدع الخالق في تكوينها. إنها فتاة جميلة ومليئة بالحيوية، فلماذا تتزوج من شخص مثل جيفري فارمر؟.

تطرق ماكس إلى موضوع المهرجان، وأشار إلى فكرة «الرجل الخادم .» اهتمت كليو بالموضوع. لقد وجدت الدور الذي أعطاها إياه شيقاً. غمزت بعينها موافقة.

«لست بحاجة للغمز، يا عزيزتي، لقد وجدت دور «آنّا» مناسباً لك.»

سألته: «تجربة أداء تقليدي؟»

فشرح لها معتذراً: «هناك لجنة للمهرجان، يجب أن أقدم من اخترته، للتصويت.»

«ألست أنت المخرج؟» سألته رافعة حاجبها بسخرية. ولكنها ابتسمت له ابتسامة ساحرة.

«على المرء أن يسترضي من حوله لينال ما يريد.»

همست فيولا: «قدم لهم عقوداً من الخرز كهدايا لاسترضائهم.»

غضب رالف ودفع الصحن من أمامه. نهضت كاثرين واتجهت نحو المطبخ لتحضر بودنغ الصيف المثلج. لقد زينت القالب بالكريما المخفوقة. وحبات الكرز البري. كان سبي في المطبخ يتناول ما بقي من الحلوى والكافيار والخضر. قال لها: «أتركي لي قطعة من بودنغ الصيف اللذيذ.»

فقالت مؤكدة: «بالطبع، لن نأكله كله.»

قال سبي مشمئزاً: «إن جيفري كالخنزير.»

«إنه يحب الأكل. ولكنه لطيف.» فشخر سبي ساخراً ولم يتكلم.

علقت كاثرين: «لقد كان الطعام لذيذاً وبارداً.»

نظر إليها بعينين ناعستين. «طبعاً، كان الطعام لذيذاً.» قال ذلك وكأنه يريد أن ينهي حديثه معها.

كان رالف مضطرباً عندما عادت إلى الحديقة. مشى بعصبية وقال صارخاً: «ما الدور الذي سأقوم به... ما هذا الدور؟ ما زلت أستطيع الوقوف على قدمي. أنا أعلم أني طاعن في السن، ولكنك تهينني....»

«إنه الدور الرئيسي.» قال ماكس بينما كان ينظر إلى كاثرين وهي تضع قالب البودنغ على المائدة أمامهم. وهي تنظر إلى ماكس وكأنها تقول: «لقد قلت لك هذا من قبل...»

بدأت بتقطيع القالب وتوزيع القطع في صحون قدمتها لهم. بدا جيفري مسروراً لرؤيته قطعة البودنغ الشهية. «هل أنت من صنع هذا الطبق؟» ظهر الاستهجان في سؤاله.

أجابت فيولا موضحة: «قبل أن نخطو أية خطوة أخرى، أفضل أن أقول لك انني لا أعرف شيئاً عن فن الطبخ، ولست مستعدة لأن أتعلم. أكره الطبخ وأكره الأكل.»

ضحك جيفري وأجابها: «سنأكل دائماً خارج البيت.» وتابع أكل البودنغ.

«يوجد على أنفك قليل من الكريمة» قالت فيولا وهي تميل نحوه لتمسح له أنفه بالمنديل الورقي.

أصبح وجهه قريباً جداً من وجهها. تلاقت نظراتهما التي كانت تعبر عن حب وشوق. أثارت تلك النظرات كاثرين وشعرت بالغيرة. بالرغم من براءتها وصغر سنها فقد حركت النظرات العاطفية أحاسيسها.

حملت كاثرين ما تبقى من قالب البودنغ إلى البيت. لم يعجب جيفري أن تُرجع شيئاً إلى الداخل. ولكن سبي كان ينتظر وأفرغ الباقي في صحن نظيف أمامه.

قالت كاثرين وهي تضحك: «هذا ما تبقى، إنه قليل.»

تمتم سبي: «أنا أعرف جيفري.»

«نعم، فقد شعرت بأنه سيسحب الباقي من يدي. يا له من مسكين. كيف سيتزوج فيولا؟ إنها تأكل ورقتي خس وتشرب كأس برتقال فتشعر بالشبع. انه سوف يموت من الجوع.»

قال لها سبي: «سوف تتعلم الطبخ.»

«مع كل المال الذي يملكه؟ هذا ليس مناسباً له،» كانت تحضر القهوة. «سيكون عندهم طباخ.»

كاد جيفري أن يوقع الصينية من يد كاثرين عندما اصطدم بها عند باب المطبخ. «هل بقي شيء من البودنغ؟» نظر إلى الداخل ووجد سبي يأكل بشهية ويمسح آخر لقمة من صحنه. وتأوه بخيبة: «هل هذا طباخكم الرائع؟»

حملت كاثرين صينية القهوة إلى الخارج. فأخذها ماكس من يدها. «أعتقد أن فارمر قد دخل ليسرق سبي منكم.»

إبتسمت فيولا «لا تستخف بجيفري، إن لديه قدرة رهيبة على الإقناع.»

احتج رالف وكليو. «لا أحد يستطيع أن يقنع سبي بالإبتعاد عن هذا البيت.»

فتحدته فيولا: «هل تراهنني بواحد مقابل عشرة؟»

أخرج رالف ورقة وضعها على الطاولة أمامه. مسح بيده على الورقة وقال لفيولا: «هيا، وقّعي! ووضع إلى جانبها ورقة مالية.»

ضحك ماكس قائلاً: «إنك هكذا تزعزعين ثقتك بزوج المستقبل.»

أجابته غاضبة: «ستتعلم كيف تقدّره.»

«حسناً، فعلتِ» تدخلت كليو وهي تتثاءب. بلغت عيناها رسالة صامتة لأختها: لا أعرف لماذا تتصرفين هكذا. فما كان من فيولا إلا أن رفعت كتفيها علامة اللامبالاة.

جاء جيفري، وابتسم لكليو فغمزت بدورها فيولا. وتمتم رالف: «عشرة إلى واحد» ثم فرك أصابعه منتظراً النتيجة.

نظرت فيولا إلى جيفري الذي هز رأسه متسائلاً، ثم قال: «لقد قدمت له ثلاثة أضعاف المبلغ الذي يأخذه من والدك، ولكنه ردني خائباً.»

صاح رالف معبراً عن انتصاره. «ماذا قلت لك؟ حتى دودي الكسندر لم تستطع أخذ سبي مني. وهكذا كنت على يقين بأنك لست قادراً على إقناعه، يا بني.» كان قد اقترب منه ومال نحوه. «لم أدفعك للمحاولة! ولكنك، على أي حال، قد خسرت.» إلتفت إلى فيولا وقال: «هيا إدفعي، يا فتاتي.»

دفعت فيولا مكرهة، ثم خرجت مع جيفري لملاقاة بعض الأصدقاء. صبت كاثرين القهوة. وجلسوا صامتين

يستمعون إلى خرير النهر وحفيف أوراق الشجر وضجيج السيارات في لندن الذي ترامى إليهم من بعيد وكأنه صوت هدير البحر.

عاد ماكس لمتابعة حديثه عن موضوع دور الرجل الخادم. حدق رالف إليه. بينما نهضت كاثرين من كرسيها وتمددت على العشب في ظل الشجرة. كانت تشعر بالنعاس والتعب، ولكنها فجأة شعرت بالفرح يتسلل إلى قلبها، لقد امتزجت ألوان الصيف مع الشذا وتغريد الطيور لتولد شعوراً بالغبطة والفرح تغلغل في عروقها وامتزج بدمها.

أحست بشيء يدغدغ أنفها. رفعت يدها بحركة لا إرادية تحاول مسح هذا الشيء ولكنه عاد. فتحت عينيها لتجد ماكس منحنياً فوقها وبيده عشبة كان يدغدغ بها أنفها.

«أين هم؟» سألت متعجبة وهي تنظر خلفه حيث كانوا يجلسون.

«لقد ذهبت كليو لتقابل شخصاً يصنع أحذية، ورالف ذهب إلى موعد ما.» تأملها بعينيه الداكنتين وقال: «تبدين وكأنك في العاشرة من عمرك وأنت نائمة. هل تعرفين هذا؟»

جلست بسرعة وأحست بالخوف. «يجب أن أذهب لأساعد سبي. هناك أعمال كثيرة علي إنجازها هذا اليوم.»

فقال لها: «لقد وافق والدك على القيام بالدور.»

تعجبت ونظرت إليه. «لا! أنت لست جاداً؟»

«إنتظري وسترين. سيحرز نجاحاً باهراً. لا تستخفي بهذا الدور.»

تأملت البيت الذي يقبع في سلام وهدوء تحت أشعة شمس بعد الظهر بحجارته القديمة ونوافذه العريضة

وشرفاته الواسعة. «وهكذا، سيقوم والدي وكليو بالتمثيل في مسرحيتك.»

قال بصوت خافت: «ونيكي، بالطبع، فأنت لم تنسي نيكي المحبوب.»

توهجت وجنتاها. وتحاشت نظراته الثاقبة، ثم قالت: «إنه مهرجان آل ميلفورد...»

«يجب أن تأتي في هذه العطلة،» وتابع يقول: «سيستمر العرض ستة أسابيع. من الممكن أن تستأجروا بيتاً... وسيأتي سبي معك! طبعاً.»

فقالت: «لن نجد بيتاً في خلال هذه المدة القصيرة، ففي هذا الموسم تكون البيوت كلها قد شغلت.»

فقال: «من الممكن أن تستعملوا بيتي. لقد استأجرت بيتاً هناك. فيه خمس غرف للنوم. هناك الكثير من الغرف.»

فسألته متعجبة: «لماذا استأجرت بيتاً بهذا الحجم؟»

«توقعت أنه سيفيد في الأوقات الحرجة. ففي هذا الموسم بالذات يستعد المرء لاستقبال الكثير من الزائرين والأصدقاء.»

كان قلب كاثرين يخفق بسرعة وقوة. كانت خائفة من أن يسمع دقات قلبها. هل ستمضي ستة أسابيع قريبة من نيكي؟ هل ستعيد علاقة الصيف الماضي؟ الأمسيات الشاعرية في أنحاء الريف وعشاء الشموع والسير تحت ضوء القمر.

كان ماكس يراقبها، وقد ظهر أنفه الطويل مشمئزاً. «ما هذه الفتاة العاطفية؟ كيف خلقت بين أفراد تلك العائلة المغامرة. إن جلدك كبيضة مسلوقة ناعمة.»

فذكرته: «ولكن للبيضة قشرة قاسية.»

فقال متابعاً كلامه: «ولكنك من دون قشرة، ويوماً ما ستؤذين نفسك لو انخرطت في عالم غير عالمك.»

«هل ستكون دودي في «كانت ويتش؟» سألته متجاهلة ملاحظاته السابقة.

«نعم وستنزل في بيتي أيضاً. ستقومين بدور الوصيفة، يا طفلتي.» ابتسم إبتسامة باردة ساحرة.

فقالت غاضبة: «لا تنادني هكذا!»

«ماذا؟ طفلتي؟ إنه شيء مستحيل على ما أعتقد! أنا أشير إلى عمرك، فهناك خمس عشرة سنة على الأقل فارق السن بيننا. ويزيد هذا الفارق براءتك التي تؤخر من نمو عقلك.»

أجابته بسخرية: «شكراً لك...»

فضحك. «أعتقد أن هذا الصيف سيلقن الجميع دروساً جديدة. ستكون مجموعة متنوعة.»

كان وجه رالف مشرقاً في صباح اليوم التالي. غنى بصوت مرتفع وهو يستحم، مما جعل الجيران ينبهونه بالطرق على الحائط المشترك بينهم.

ولكن رالف رفع صوته أكثر لعلمه بأن جاره ملحن، ولكن هذا الأخير دفعه الغضب لأن يرن الجرس وينهال عليهم بالإهانات.

قالت كاثرين: «إنني آسفة، سنيور توستي، لا أعرف ما الذي يزعج والدي اليوم فهو ليس مسروراً.»

رأت أنه من الأفضل أن تغير الموضوع لتكسب شفقته.

فقال السنيور توستي: «ليس مسروراً؟ أعتقد أنه يموت.»

أثناء الغداء، قام رالف بتقليد غضب توستي الهستيري. انهمرت دموعهم من شدة الضحك. لقد قام بدعوة أربعة

أشخاص إلى الغداء دون أن يعلم سبي الذي ظهر غاضباً وهو يقدم الأطباق. ولكن كاثرين هونت عليه الأمر. «أنت تعرف والدي، فهو طيب القلب.»

قال سبي: «إنه لا يفكر، فلو علمت بقدوم جاك بيل لكنت جهزت له الطبق الذي يحبه. ولكن مواد طبقه هذه ليست موجودة في البيت. ولا يوجد سوى بعض اللحم والجبن. لم أستطع زيادة أنواع الطعام.»

فقالت تهون عليه: «ولكنك صنعت سوفليه لذيذة، لقد نظفوا صحونهم وأكلوا الأطباق كلها. لقد كان الطعام شهياً.»

«لقد صنعت طبقين. وهذا ما أنقذ الموقف وإلا لما كانوا شبعوا.»

«إن والدي سعيد لعودته إلى العمل. فهو لا يستطيع العيش دون عمل.»

«هناك كثيرون مثل والدك، فهو بحاجة ماسة للمسرح. المسرح هو بمثابة روح لجسده.» تأملها ثم تابع كلامه: «نيكي مثل والدك، متعلق بالمسرح أيضاً... إنه يشبهه في أشياء كثيرة.»

«هل تعتقد هذا؟» لم يخطر ذلك على بالها من قبل.

قال سبي بنعومة: «فكري بالأمر.»

«مرحباً، يا رفاق.» قالت فيولا وقد ظهرت عند الباب متألقة بثوب حريري أبيض مما أضاف جمالاً وإغراء على جسمها الرقيق. إنها أقل من كليو إغواءاً. ولكن السعادة التي تشع من عينيها جعلتها تبدو رائعة الجمال.

سحبت كاثرين إلى غرفتها لتريها الملابس الجديدة التي اشترتها.

«هل تعتقدين أن إطالة فترة الخطوبة هو عمل حسن؟» سألت شقيقتها وهي تعرض لها سروالاً أخضر جديداً تريد إرتداءه هذا المساء.

أجابت كاثرين: «هذا يعود إليكما.»

استلقت فيولا على سريرها ونظرت إلى نفسها في المرآة. «لا أرى أي سبب للتأخير، فأنا وجيفي مقتنعين. لن نكلف أنفسنا عناء التريث لحفل الزواج الكبير. سنترك الأمر لمكتب يهتم بهذه الأمور.»

جلست كاثرين بالقرب منها وقالت وهي تفكر في ما قالته فيولا. «تستطيعين فعل هذا، ولكن من الممكن أن يغشوك. فيوم الزفاف هو يوم من الأيام التاريخية يحدث مرة واحدة في العمر، يجب أن يكون يوماً رائعاً. يوم مهرجاني، ألعاب نارية. سيرك...قوس قزح..»

قالت فيولا بهدوء. «أنت على حق. ولكن يلزمنا أسابيع لتحضير هذه الأمور. علينا أن نقرر ونقرر... الأزهار؟ الأشابين؟ التراتيل؟ كلها أمور لا نهاية لها.»

فقالت كاثرين: «ولكن هذا الأمر يمر مرة واحدة في حياتك، فكري في الليالي الأولى، في السعادة بعد العمل الشاق.»

أضافت فيولا: «الألم موجود في معدتك، أنت تعرفين أنني أمرض في الليلة الأولى من العرض. أشعر بوجع في رأسي قبل العرض بإثنتي عشرة ساعة. ثم أشعر بالإعياء قبل رفع الستارة.»

تعجبت كاثرين: «لم أكن أعلم هذا!» وتأملت شقيقتها بدهشة.

«ولماذا تعلمين؟ فأنا لم أنشر الخبر. وجدت الأمر مخجلاً. فلم أقدر على مصارحة أحد بالحقيقة.»

نظرت كاثرين إليها، إلى عينيها الساحرتين وثغرها الجميل الذي يوحي بذكائها وخصلات شعرها حول وجهها. هل هناك فيولا ثانية خلف هذا الشكل الذي تعرفه؟ هل تكتشف الآن أشياء جديدة لم تلاحظها في شقيقتها سابقاً؟ وكأن فيولا قد وضعت ستاراً على وجهها، ستاراً كان يخبىء حقيقة مشاعر شقيقتها.

في الوقت الذي كانت تستعد فيه فيولا للزواج، إزداد تعلق كاثرين بها. لقد كانت تكبرها بسنوات. لم تشعر في حياتها بقربها منها كما تشعر الآن. لقد كانت فيولا دائماً بعيدة عنها. هل ما زالت بعيدة وأنا من يتقرب ويدنو منها؟ سألت نفسها وهي تتأمل شقيقتها وقد اغرورقت عيناها بالدموع. «لا تزعجي نفسك بالتفكير بالتحضير ليوم الزفاف. سأتدبر الأمر بمساعدة سبي.»

ضحكت فيولا «هل أخبرك أحد غيري بأنك ملاك؟ أعدك بأننا سوف نتعاون لنصل إلى إنجاز رائع.» وقفت تتأمل كاثرين وقالت مازحة: «علينا أن نفكر قبل أن نعمل ونتعب.»

قالت كاثرين مصححة: «أو نهلك.»

ضحكت فيولا. «إن من يتكلم الآن، هو واحدة من آل ميلفورد الحقيقيين! كم هو مخجل إذ أخطىء أنا وأنت تصححين. لو علم والدي لكان طردني خارجاً!»

أحضرت كاثرين دفتر يومياتها. «لنر مواعيدنا. لن تستطيعي الإحتفال بحفل زفافك قبل الخريف... بعد إنتهاء ذلك المهرجان اللعين. علينا أن نسأل الكاهن عن المكان

المناسب لإقامة الحفل. أعتقد أن كنيسة سانت جورج مناسبة. فلقد تم تعميدنا جميعنا فيها.»

فوعدتها فيولا: «سأتصل به لتحديد موعد معه، لن نسأل جيفي عن رأيه في الموعد. فهو لا يفعل شيئاً في عطلة نهاية الأسبوع سوى لعب الغولف والذهاب إلى الحفلات. وبعد خمسة أسابيع تنتهي مسرحيتي، عندها أصبح حرة.»

حاولت كاثرين وفيولا تحديد موعد مناسب ولكنهما لم تصلا إلى نتيجة، إذ كان عليهما أن تستشيرا راعي أبرشية سانت جورج.»

«أتمنى أن لا أمرض في الليلة الأولى،» قالت فيولا وهي تخلط بين الضحك واليأس. «يا لجيف المسكين!»

«أرى في جيف اللاعب الفائز بالكرة، لن يظهر أكثر سروراً حتى ولو حاول.»

ضحكت فيولا. «إنه واضح، فهو حبيب مسكين،» ثم ابتسمت ابتسامة عريضة. «إني مقتنعة به.»

«لقد لاحظت هذا.»

ضحكت الفتاتان. ثم ربتت فيولا على يد كاثرين. «هل تعلمين أن في وسعنا أن نصبح صديقتين،» قالت ذلك بخجل.

«نعم،» أجابت كاثرين ببساطة وهي تبتسم. «وأنا سعيدة بذلك.»

الفصل الثالث

سيبدأ المهرجان في شهر آب – أغسطس... والآن أواخر شهر أيار – مايو وقد بدأت المطابع بإصدار الصور والمناشير والدعايات. ولكن الممثلين الذين سيقومون بالأدوار في مسرحية المهرجان لم يُعرفوا بعد. مع العلم أنه قد هُمس بأسماء بعض الممثلين في عالم المسرح. كان هناك اهتمام بالدور الذي سيقوم به رالف. إنه دور صغير، ولكنه يرمز إلى أهمية في قصة المسرحية. رالف ميلفورد هو من أقدم وألمع نجوم المسرح. ودور صغير كهذا يعتبر كبداية مرحلة الرحيل.

ذكرت فيولا لشقيقاتها تلك الليلة: «بالطبع، فهو قد بدأ منذ مدة بتنويع نشاطاته، لقد قام بدور في مسرحية كوميدية، كان بارعاً فيه، ولكنه لم يكن من الأدوار التي يمثلها عادة... كيف استطاع ماكس أن يقنعه بمثل هذا الدور؟»

«إن ماكس داهية.» تمتمت كليو التي كانت متمددة على الأريكة الطويلة في الغرفة.

جمعت كاثرين أكواب القهوة واتجهت نحو المطبخ. لم تشأ أن تسمع مدحاً في ماكس. فهو لا يملك أية صفات تستحق المدح.

كان سبي يغسل الأواني والأطباق بصمت. ولكنه تكلم عندما رآها: «ماذا بشأن كاس وفيولا؟ هل سيذهبان إلى «كانت ويتش» مع الجميع؟»

فقالت بهدوء: «سيبقيان هنا.» والتقطت فوطة للصحون وبدأت بتنشيفها. «سيكون لديها فرصة لتتعلم العمل المنزلي.»

فقال سبي مشمئزاً: «من؟ فيولا؟ لن تمد يدها إلى شيء، لا أستطيع أن أتصور كيف سيكون المكان هنا عند عودتنا.»

قالت له كاثرين بنعومة: «أعطها فرصة.»

وصلت فيولا وشاركت الحديث معهما. «أعتقد أن فس إمكاني أن أفعل...» قالت ذلك والشك يملأ كلامها: «أعتقد أن عليّ أن أقوم بأعمال منزلي عندما أتزوج... سأحاول جهدي.» وضحكت. «على كل حال ستساعدني كاثرين وترشدني إلى الطريق الصحيح... ستوضح لي كيفية العمل. لن أسأل سبي فهو يوبخني دائماً.»

أمضوا نهار الأحد معاً. وضعت كاثرين خطة للعمل اليومي والأسبوعي، من إرسال الغسيل إلى المغسل وتنظيف النوافذ والطبخ اليومي وغيرها من الأعمال. قرأت كاثرين ما كتبت في دفتر يومياتها واستمعت إليها فيولا بملل.

«كيف تستطيعين القيام بكل هذه الأمور وحدك؟ إنها أعمال كثيرة.»

أجابتها كاثرين مؤكدة: «ولكن علينا إنجازها في وقتها. فللمحافظة على نظافة ومظهر البيت، هناك أعمال كثيرة مثل مسح الغبار عن الأثاث والزجاجيات وتنظيف النوافذ والأرض. إنها أعمال هامة.» وقرأت في دفترها عن أعمال أخرى. «إنها أعمال لا تتطلب مهارة، ولكن التنظيم في العمل يختصر الوقت والمجهود. وعندما تتزوجين ويصبح لديك بيت خاص بك، تدركين مدى

أهمية هذه الأعمال وتشعرين بالسعادة والرضى عند إنجازها. لأنك، وبالتأكيد، لن تحبي العيش في مكان مهمل ووسخ.»

تنهدت فيولا. «لا، لن أقوم بمثل هذه الأعمال. أنت وسبي تعملان وكأنكما عبيد. لم أكن أعلم أن التدبير المنزلي يشمل كل هذه الأعمال المتعبة.»

بعد عدة أيام، جهزوا حقائب سفر عديدة ووضعوها في صندوق سيارة رالف «الرولزرويس» وانطلقوا نحو «كانت ويتش.» كانت كليو تشعر بالنعاس، فهي لا تحب السفر في ساعات الصباح الباكر. وكانت قد أمضت سهرة مساء ذلك اليوم مما تسبب باحمرار في عينيها وزاد من شعورها بالنعاس.

كانت كاثرين قد ذهبت إلى غرفة فيولا لتعطيها المفاتيح. وكانت فيولا ممددة على سريرها المغطى بملاءات ليلكية اللون. لم يخرب النوم تسريحة شعرها ولا جمالها.

قالت لكاثرين: «إنني مضطربة. أشعر بنفس الشعور الذي ينتابني قبل ليلة العرض الأولى.»

فطمأنتها كاثرين: «ستتخطين هذا الأمر.»

لقد دعت فيولا جيفري إلى العشاء تلك الليلة. وعلمتها كاثرين كيف تصنع عجة البيض، وبعض المقبلات. كان عشاء بسيطاً، انتهى بقالب من حلوى الكريم كاراميل. ولكنه كان بالنسبة لفيولا كالأعمال الشاقة.

نظرت كاثرين في ذلك الصباح الرمادي من نافذة السيارة، ولوحت مودعة فيولا التي بقيت في البيت.

- «أتمنى أن تكوني قد عرفت ما فعلت؟ أتمنى أن أعود وأجد مطبخي في مكانه،» قال سبي ذلك لكاثرين.

فطمأنته كاثرين: «ستتعلم فيولا بسرعة وتنظم كل شيء.»

تثاءبت كليو. «لماذا تزعجين نفسك بتعليم فيولا؟ إن جيف قادر على إيجاد أشخاص يقومون بالعمل بدلاً منها.»

نظرت إليها كاثرين ببرود. «الشيء المهم هو أن تستطيع فيولا إدارة شؤون بيتها عندما تتزوج. لقد انتهت أيام الخدم والحشم.» نظرت كليو إلى سبي وقالت: «باستثناء شركائنا الحاضرين.»

فانتفض سبي وقال لها: «أنا لست خادماً، وأرى أنه من الأفضل أن تصوني لسانك، يا أيتها السيدة!»

أنبتها كاثرين قائلة: «لِمَ هذا الكلام، يا كليو، إن سبي فرد من أفراد العائلة! وحسناً فعل بأنه لم يرد عليك بأكثر من هذا.»

رمقها رالف بنظرة غضب. «أرى أن من الأفضل أن تقصي مخالبك، أيتها الهرة الشرسة.»

تظاهرت كليو بالنعاس، فمالت على جانب المقعد وأغمضت عينيها تحاول النوم.

«كانت ويتش» بلدة ساحرة تحيط بها المياه. لم تتغير عبر القرون التي مرت منذ أيام «باسكال فلينت».

في وسطها شارع رئيسي يسمى «الهاي» تتفرع منه الطرقات كما تتفرع الجداول من النهر الكبير. كانت هذه الطرقات مليئة بالحوانيت الصغيرة بين الأكواخ الكثيرة. يتسع «الهاي» حتى يصبح ساحة مربعة الشكل يقوم عليها السوق المركزي للبلدة، ويتفرع منها ثلاثة طرق

رئيسية تتوزع عليها أندية ومقاهٍ تجذب السياح إليها.

«يا إلهي، إنه عالم آخر،» صاحت كليو وهي تنظر من نافذة السيارة التي تعبر «الهاي.»

قالت كاثرين بنعومة: «إنه مكان رائع وجميل، أنظري إلى مجموعة الغرف هذه بنوافذها التقليدية الجميلة. أتخيل وجود فتيات يرتدين ثياب «جاين أوستن» العالية الخصر ويرقصن مع شبان بكامل أناقتهم على ضوء الشموع. إنها توحي بالشاعرية.»

«أنت مجنونة،» نظرت إليها كليو مشمئزة. «ما هذه الشاعرية التي تتكلمين عنها في وقت كانت الموسيقى الهادئة هي الموسيقى الوحيدة التي يعرفونها. عندما كان للسيدات وصيفات يحدثنهن عن الشبان. يا لروعة القرن العشرين بما فيه من صخب وحياة!»

أومأ رالف برأسه: «أنا أوافقك الرأي، فلا أجمل من عصرنا هذا.»

انعطفت السيارة نحو اليمين وسارت في الطريق المؤدية إلى قلب البلدة. ثم انعطفت نحو اليسار قبل نهاية الطريق، فبان أمامهم بيت ماكس، إذ لم يكن هناك أي بناء آخر بالقرب منه. كان يوجد حول البيت حقل مليء بأنواع الأزهار المختلفة. ويقف حصان على العشب يمضغ طعامه وقد ربط إلى سياج الحديقة.

كان البيت يشبه في تصميمه وقِدمه، البيوت التي كانوا قد شاهدوها في طريقهم عبر «الهاي» شرفاته طويلة ونوافذه تقليدية. أما بابه الأنيق فقد عُلق عليه رأس أسد مصنوع من النحاس يستعمل كمطرقة لقرع الباب.

ظهر ماكس نيلسون وإلى جانبه دودي الكسندر عندما سمعا زمور سيارة رالف المميز. كانا يرتديان قميصين واسعين.

قال ماكس: «أهلاً بكم، تعالوا إلى الحديقة حيث نتناول الشاي.»

فقال رالف: «لقد تناولنا الطعام في طريقنا إلى هنا، ولكنني أكاد أموت من الجوع. من الممكن أن نتناول شيئاً مع الشاي.»

«لقد جهزت دودي كل شيء.»

فقالت دودي: «شطائر متنوعة، حلوى، مثلجات.»

بدأ سبي بإنزال الحقائب. أما كليو فترجلت من السيارة ونظرت إلى دودي نظرة سريعة، ثم قالت: «هل أستطيع أن أرى غرفتي؟ فأنا تعبة جداً من الرحلة بالسيارة. أريد أن أستحم وأغير ملابسي.»

«سأرشدك إلى غرفتك،» قالت لها دودي دون أن تبتسم. والتفتت نحو كاثرين قائلة: «عزيزتي كاتيا، أنا مسرورة جداً لقدومك. ماكس، أطعم الطفلة شيئاً، فهي تبدو شاحبة.»

أمسك ماكس بذراع كاثرين. «تعالي معي، يا عزيزتي كاتيا.»

ظهر كلامه جاداً... وساخراً في آن واحد.

خلصت ذراعها من يده، وقالت بعصبية: «لا أحتاج لمن يقودني يجب أن أذهب لأساعد سبي.»

ولكن جواب سبي كان محرجاً لها. «لا أحتاج إلى أية مساعدة، يا آنسة.» كان سبي ما يزال غاضباً.

فحاول ماكس إثارة غضبها: «إذن تعالي معي.»

كان رالف قد سبقهم وبدأ بالتهام الطعام. أما كاثرين فنظرت نحو سبي تلومه على رده عليها وإحراجها أمام ماكس. لقد أثر كلام دودي على شعور سبي، فقد أفهمته بأنه ليس أكثر من خادم. كانت تعرف مدى حساسيته، ولكنها تعمدت أن تحرجه.

شد ماكس بيده على ذراع كاثرين وكأنه يحاول أن يسحبها بالقوة.

«افعلي كما قيل لك، يا طفلتي، إن سبي لا يريدك معه. فهو سيطوف في البيت ليتعرف إلى العمل، أليس كذلك يا سبي؟»

نظر سبي غاضباً. «هذا صحيح، يا سيدي.» وكانت نبراته حادة.

ابتسم ماكس ابتسامة عريضة. «سنبتعد عن دربك. تعالي معي، يا كاتيا.»

أطاعته كاثرين مكرهة، فالتفت إليها وقال: «لقد بدأت أعتقد أنك تكرهينني.»

فتحت عينيها متعجبة. «وما الذي يجعلك تعتقد هذا؟»

ضحك بصوت عال. «إنها الحقيقة، ولا أشك في ذلك.»

كانت أكواب الشاي على طاولة الخيزران في الحديقة. ويوجد أمامها كرسيان وقد جلس رالف على احداهما، يأكل بنهم سندويشات من الخيار والبندورة. لوح لهم بيده عندما رآهما قادمين.

«إن هذا العصير لذيذ جداً، هل جهزته أنت يا دودي؟»

فقال ماكس: «لا، لقد صنعته بنفسي، فقد علمتني جدتي طريقة صنعه.» نظر إلى كاثرين مبتسماً. «سأعلمك الطريقة، يا طفلتي. يجب أن تستعملي البرتقال والليمون الحامض.

إن البرتقال يزيد من حلاوة طعم العصير.» وكان ثمة شرائح رقيقة من البرتقال تسبح في إبريق العصير. صب رالف كأساً لها شربته بسرعة لتروي عطشها. لقد كان لذيذاً جداً.

تمدد ماكس على العشب وظلل وجهه بإحدى يديه ليحمي عينيه من أشعة الشمس. بينما جلست كاثرين على الكرسي الثانية بالقرب من رالف وشاركته في تناول الطعام. شعرت كاثرين بالشمس تحرق كتفيها. بينما كان تغريد طائر رأته يقف على رأس المدخنة يطرب أذنيها. حاولت أن تشغل تفكيرها بالطائر. ولكن صورة ماكس وتصرفاته كانت تزعجها وتسيطر على أفكارها. راقبته دون أن يشعر. كان طويلاً ونحيلاً. أسود الشعر تظهر من «قبة» قميصه المفتوحة، رقبة سمراء لوحتها أشعة الشمس، فزادت من سمرتها. لم تستطع أن تتأمل كل وجهه. لقد غطت يده عينيه، وظهر أنفه من تحت يده صلباً وثابت العظام. تحته بدا فمه العريض والذي يظل في حال من السخرية الدائمة. كما تساعد عظام ذقنه وفكه على رسم صورة إنسان كسول... هل هو كسول حقاً أم أنه يحب التظاهر بذلك؟

أخذت كاثرين قطعة من حلوى البندق وبدأت بالتهامها. وقف رالف ودفع كرسيه إلى الخلف.

«سأذهب لأرى ما الذي أخر دودي وكليو،» قال ذلك ومشى دون أن ينظر إلى كاثرين.

خيم السكون على المكان. وانزعجت كاثرين وفكرت باللحاق بوالدها. ولكن، ما أن وقفت حتى فتح ماكس عينيه وأبعد يده عن وجهه وقال: «أريد أن أتحدث معك.» وأحست هي بشيء من الخداع في صوته.

وقفت كالطفلة التي تنتظر تأنيباً.

قال ماكس بلهجة الأمر: «اجلسي هنا.» وضع يده على العشب إلى جانبه محدداً لها مكان الجلوس.

أرادت أن ترفض أمره... ولكن، شيئاً ما في نظراته جعلها تخضع لإرادته. شعرت بأنه كان يتمنى أن تعصي أوامره. ولكنه ابتسم ابتسامة رضى حين جلست في المكان المحدد.

«إنك فتاة عاقلة!» شعرت بنبرته الساخرة. ورفعت ذقنها لتشعره بأنها لا تأبه لحركاته.

«يجب أن أذهب لأساعد سبي.»

تجاهل كلامها وسألها: «لماذا بقيت طيلة هذه السنوات في المدينة؟ لماذا لم تتعلمي أية مهنة؟»

فأجابته: «لم أكن أريد.»

رفع حاجبه متعجباً. «أنت لست طموح. أنت فرد غريب بين أفراد آل ميلفورد.»

احمرت وجنتاها. «أنا فرد غريب.» كيف يجروء على التكلم معها بهذه الطريقة.

عرف بما تفكر... قال لها: «لماذا تستعملين موهبتك في غير مكانها. فوالدك يستطيع أن يجد امرأة تساعد سبي في التنظيف والطبخ. فهنالك عمل آخر لك... لقد وجدت عملاً يليق بك.»

«حقاً، ما هو... يجب أن أستشير والدي بهذا الأمر.»

فقال بهدوء: «آه، رالف، لقد وافق...»

فأجابت: «حسناً، ولكنني لم أوافق بعد، وما هو هذا العمل؟ ولِمَ تريدني أن أعمل لك؟»

فقال ببساطة: «أريد مساعدة لي في المسرح. لكي تهتم بالخدمات وما يرتبط بها... وأنت قادرة على القيام بذلك!»

قالت وقد شحب لونها: «لا، آه، لا.»

نظر إليها محدقاً إلى وجهها الأبيض. «تبدين شاحبة، وكأنه سيغمى عليك. لماذا؟»

«لا شيء،» نهضت من مكانها بسرعة. «ولكنني لا أستطيع أن أعمل عندك، يا مستر نيلسون. أنا آسفة، أتمنى أن أبقى كما أنا...»

ركع وحاول أن يمسك بيدها، ولكنها استطاعت الهرب قبل أن يلمسها. وقف على قدميه يراقبها وهي تختفي عن نظره. ثم وضع يديه خائباً في جيبيه. كانت عيناه الرماديتان مركزتين على البيت حيث دخلت كاثرين.

اعتقدت أن سبي سيوافقها الرأي برفض العرض الذي قدمه ماكس نيلسون، ولكنه فاجأها بقوله: «ولماذا ترفضين؟ إنه عمل مسلٍ.» وتابع وضع الملابس في الخزانة.

«هناك عفن في الخزانة يجب أن أمسحه بقليل من الصودا.»

عرضت نفسها للمساعدة: «سأقوم بمسحه.»

هز بكتفيه. «سأمسحه لاحقاً.»

«سبي، أنا لا أريد أن أعمل في المسرح،» قالت له ذلك بنبرات حزينة.

فقال: «ولكن لا يوجد عمل لتقومي به هنا.»

«ولكنك قلت أن هناك الكثير من الأعمال خلال إقامتنا في هذا البيت.» واحتجت قائلة: «أنت لا تستطيع العمل وحدك.»

نظر إليها وقد ظهر الغضب في عينيه. «من الذي لا يستطيع؟ أستطيع القيام بهذه الأعمال وأنا واقف على رأسي. ما زلت أتمتع بصحتي وقوتي، أيتها الآنسة.»

تركته وذهبت لتبحث عن والدها. هل سيعاملها كما عاملها سبي؟ كان متمدداً على الأريكة عندما أخبرته عن عرض ماكس.

«إنها فكرة عظيمة. لقد أحسن ماكس التفكير. ستسرين عندما تكونين قريبة منا أثناء العمل. ونحن سنستفيد من وجودك بقربنا. هذه الوظائف السريعة تحتاج عملاً وجهداً قوياً.» نهض من مكانه وبدأ بتعليق قمصانه في الخزانة. اتجهت نحوه وشدت القمصان من يده وقالت: «اجلس، يا أبي سأقوم بهذا العمل عنك.»

راقبها وهي تفرغ بقية الملابس من الحقيبة وتنظمها في الخزانة. كانت تعمل ببراعة واتقان. وابتسم لها عندما عادت لتجلس بالقرب منه. كيف يريدها أن تذهب للعمل في المسرح؟ فهو غير قادر على تعليق قمصانه بطريقة صحيحة.

قال لها باسماً: «هناك تستطيعين القيام بمثل هذه الأعمال. تستطيعين الاهتمام بملابسي في المسرح.»

«أبي... لماذا تصر أنت وماكس على عملي في المسرح؟» سألته ذلك وكأنها تريد إيضاحاً لأمر ما.

نظر إليها رالف بحنان. «إننا نريدك دائماً بالقرب منا، يا عزيزتي.» تناول ربطات عنقه من الحقيبة، لتأخذها هي من يده وتعلقها في الخزانة.

لم تتوقع أن تنال ردوداً من والدها. عرفت أن عليها أن

تذهب إلى ماكس فهو الذي يستطيع الإجابة عن تساؤلاتها. كانت تفضل أن لا تفكر في هذا الأمر، ولكنها وجدت نفسها مكرهة على فعله.

بعد العشاء، سأل رالف ماكس عن الإنتاج. وكان قد قابل باسكال فلينت عندما كان صبياً صغيراً. لقد كان هذا الكاتب العجوز أسطورة في ذلك الوقت قال لماكس: «لقد شاهدت هذه المسرحية عندما كنت في العاشرة من عمري كان فلينت حاضراً. وكان يجلس في الصف الأمامي.»

أخبره ماكس عن الممثلين: «إنهم شبان متحمسون بارعون في عملهم على الرغم من صغر سنهم.»

لم تزعج هذه الأخبار رالف. فثقته بنفسه لم تتزعزع. كانت كاثرين تراقبه باعجاب. ارتاح في جلسته وهو يبتسم. ما زال وسيم الوجه رغم مرور السنين، بما تحمله من جهد وعمل. عندما كان في العشرين من عمره كانت لندن بأجمعها تشرب نخبه. كان النقاد يعتبرونه الممثل الشاب المميز، أما الجمهور من النساء فكن يعتبرنه فتى الأحلام ذا القلب الذهبي.

لقد كبر و أصبح رجلاً جذاباً. ويزيده جمالاً ماكياج المسرح الذي يخفي آثار العمر عن وجهه.

قال له ماكس: «غداً سنذهب إلى المسرح.»

«حسناً،» أجاب رالف وقد شعر بالرضى والسرور، من الطعام اللذيذ والأخبار الجديدة. «لقد أحببت هذا المكان، هدوء، سلام، أكل جيد... كلها أشياء محببة للنفس.»

ابتسم ماكس قائلاً: «كلما قل السلام، أصبح الجو أحسن. آه! حسناً، أعتقد أنه يجب أن نتحدث قليلاً في المربع التابع

للمسرح غداً. لقد دعوت جميع الممثلين والعاملين في المهرجان للقاء غداً في الساعة العاشرة. سنناقش بعض الأمور ومن ثم نتناول بعض الشراب.»

ضحك رالف. «هذا نظام رائع للعمل. أنت مدير على ابنتي، يا ماكس.» نظر إليه مفكراً. «لا بد أننا نمر بتجربة جديدة؟»

نظر إليه ماكس. «سنناقش هذا الموضوع غداً، يا رالف. فلننه حديثنا الآن.» ونظر إلى كاثرين. «تستطيعين القدوم معنا، يا كاتيا.»

كانت دودي صامتة طوال الوقت تستمع لحوارهم. ووقفت كليو دهشة. سألت متعجبة.

«كاثرين؟»

نظر إليها رالف وقال: «نعم، لقد قررت أن عملها سيكون مفيداً جداً في المسرح.»

«أنت قررت؟» نظرت إلى ماكس متسائلة.

ابتسم ماكس ابتسامة باردة وقال موضحاً: «يعتقد والدك أن كاثرين تقضي معظم وقتها في البيت وعليها الآن أن تخرج لتثبت للناس أنها فرد حقيقي من آل ميلفورد.»

فقالت: «لا بد أن والدي غيّر رأيه متأخراً. لقد كان دائماً يقول أن كاثرين لا تصلح لأن تكون على خشبة المسرح.»

مشى رالف وقد ضاق ذرعاً بكلام كليو. «أعتقد أنه في إمكاني أن أغيّر رأيي ساعة أشاء.» ونظر إلى دودي وقال: «ما رأيك بلعبة الشطرنج؟»

ابتسمت له مشجعة. «إنها فكرة رائعة وممتعة، يا عزيزي.» ونظرت إليه بعينين دافئتين.

«ما الذي ترمي إليه، يا ماكس؟» سألته كليو في الوقت الذي ذهب فيه والدها ليلعب الشطرنج مع دودي.

نظر إليها ببرود وأجاب: «لا أفهم قصدك، لا غاية لي في عرضي العمل على كاتيا.»

لم تقتنع كليو بكلامه. «لقد كان والدي سعيداً بإبقاء كاثرين في البيت. لماذا غيّر رأيه فجأة وأراد لها أن تبدأ العمل في المسرح. إنها فكرتك، أو...» وأشاحت بنظرها عنه وأخذت تحدق نحو الباب.

«أو ماذا؟» سألها ماكس بنعومة.

«أو رأي الحبيبة دودي؟» قالت كليو ذلك وعضت على شفتها. «ولكن لماذا تهتم دودي الكسندر بأمر شقيقتي الصغيرة كاثرين؟»

«إن دودي تحب كاتيا كثيراً.»

فاضطربت كليو: «لا تسمها بهذا الإسم.»

لقد كانت كاثرين هادئة وهي تستمع إلى حوارهما. ولكنها تعجبت لكلام كليو الحاد.

«لقد توصلت إلى قرار.» التفتت نحو ماكس وقالت: «هل أستطيع أن أقوم بهذا العمل؟»

نظر إليها متعجباً. وقال بلطف: «أنت الوحيدة القادرة على القيام بهذا العمل، يا عزيزتي. لماذا طلبت منك أن تكوني مساعدتي؟»

تنهدت كليو: «لست واثقة من شخصيتها. هل هي ذئبة، أم أني أتخيل هذا؟ هل ظاهرها قاس وجاف بينما هي تملك قلباً من ذهب؟»

«نستطيع مناقشة ذلك أثناء التمرين،» قال ماكس: «أنت

تعرفين طريقتي، فأنا أفضل المناقشة الحرة حول المسرحية، قبل أن نبدأ بتحليل شخصية الأفراد. فالمسرحية يجب أن تكون وحدة متماسكة. كل شخصية فيها بمثابة خيط من خيوط قطعة قماش واحدة.»

«كم أنت مثقف، يا عزيزي...» تمتمت كليو وهي ترفع ذراعيها بحركة تدل على نعاسها. كانت ترتدي ثوباً أبيض، يعكس لونها البرونزي وقد انسدلت خصلات شعرها الحمراء حول وجهها الجميل. كان ثوبها مصنوعاً من قماش الجورسيه الذي يشد على جسمها فيظهر تفاصيله مع كل حركة من حركاتها. كان ماكس يتأمل حركتها بإعجاب وقد رسم ابتسامة بسيطة على وجهه.

ابتسمت له كليو وكأنها فهمت معنى نظراته. «إنه مساء رائع، أنا متشوقة لجولة في الحديقة، أتأتون معي؟»

«لم لا؟» وقف ماكس وسحبها من ذراعها الممدودة بحركة جعلها قريبة منه. وعيناه تحدقان إلى عينيها.

تركتهما كاثرين وذهبت إلى سبي. «كلهم مصممون على عملي في المسرح!»

قال سبي: «لا أعرف سبب معارضتك لهذا الموضوع، كثيرات من الفتيات في سنك يتمنين العمل لمدة أسابيع مع نجوم مسرح لامعين.»

عضت كاثرين على شفتيها. «أنا لست من تلك الفتيات.»

«ما هو اعتراضك؟»

«هل تريدني أن أذهب إلى المسرح وأصبح محط أنظار الناس عندما يتعرفون عليّ على أنني واحدة من آل ميلفورد... آل ميلفورد الرائعين... آل ميلفورد الجميلين.»

تورد وجهها واحمرت عيناها. «طوال حياتي كنت أنظر إلى نفسي من خلال نظرة الآخرين إليّ، أرى ملامح وجههم حين يسمعون اسمي. إنني بسيطة... لست موهوبة. ما أنا سوى خيبة أمل لوالدي وإحراج لأخواتي. والآن، وبمساعدة ماكس نيلسون، يحاول والدي إقحامي في عمل المسرح من جديد بعد أن اعتدت على عمل البيت.» أنهت كلامها وقد شعرت بغصة في حلقها.

قدم سبي لها منديلاً وربت على كتفها. «تعالي، لا تذرفي دموعاً. اغسلي وجهك وساعديني في تجفيف الصحون وأواني العشاء. سأتكلم مع ماكس نيلسون لاحقاً.»

طلبت منه راجية: «لا تخبره بما قلته لك.»

أجابها سبي: «بالطبع لا.»

فُتح الباب، ودخلت دودي الكسندر وهي تضحك. نظرت إليهما نظرة مودة وحب. «كم أنا سعيدة بوجودك هنا حبيبتي كاتيا.»

أسرع سبي ليقدم لها كرسياً من كراسي المطبخ ووضع وسادة وراء ظهرها. «سيدة...» قالها وهو شبه منحنٍ أمامها.

جلست كالملكة وابتسمت له تعبر عن شكرها. «آه، سبي، جئت أبحث عن كوب من القهوة. لقد ربح رالف في مباراة الشطرنج. لقد أغضبتني هذه الخسارة!»

ظهر سبي مسروراً وهو يحضر القهوة لها. إنه خادمها المطيع. هكذا يعتبره أفراد العائلة. ولكن الجميع يحبونهما.

كان المطبخ فسيحاً، تغطي جدرانه حجارة من الطراز القديم، تعطيه طابع الكوخ القديم. ولكنه كان مليئاً

بالتجهيزات الحديثة، من ثلاجة وأدوات كهربائية ومغسلة صحون. لم يؤمن سبي بتلك الآلة الأخيرة. فهو يفضل غسل الصحون بيديه خوفاً من أن تتكسر داخل الغسالة المجنونة.

كانت تغطي نافذة المطبخ ستارة مزركشة، يتناسب لونها ولون الخزانة الخشبية ذات الطابع الفرنسي. كان سبي قد أحضر بعض الأزهار الصفراء من الحديقة، ووضعها في زهرية خضراء اللون، ليزين بها مائدة الطعام.

أشارت دودي إلى كرسي بالقرب منها وقالت: «تعالي... أخبريني، يا كاتيا.» أطاعتها كاثرين وابتسمت لها. كان عطر دودي مميزاً. تذكرت كاثرين أنها كانت تشم هذا العطر المميز كلما التقت بدودي. فهي، كعطرها، ناعمة، حلوة وأخاذة. نظرت إليها نظرة حب. كانت معجبة بأناقتها وجمالها ورقتها.

قالت لها دودي بلطف: «لقد قال لي والدك أنك ترفضين العمل في المسرح، ومساعدتنا في إداء أدوارنا.»

أحست كاثرين بالخجل. وقالت متلعثمة: «كلا.»

«لم لا، يا عزيزتي؟» كانت عينا دودي تفتشان عن عينيها. ازدردت كاثرين ريقها. «أنا... أنا لا أشعر بالسعادة في المسرح.» كانت تتكلم شبه هامسة.

أومأت دودي برأسها. لقد كانت تنتظر هذه الإجابة فسألتها: «أنت تشعرين بأن المسرح ليس المكان المناسب لك؟»

هزت كاثرين رأسها موافقة. «نعم... نعم هذا ما أشعر به.»

«لماذا؟ بماذا تفكرين؟» سألتها دودي بلطف وصمتت لتتأمل ردة فعلها.

«لا أعرف...»

«هل أنت متأكدة من شعورك هذا؟» وضعت دودي يدها على كتف كاثرين لتهدىء من روعها. «أعتقد أنه في إمكاني أن أعرف.» قالت لها بحب ونعومة. «إن حساسيتك هذه ترجع لشعورك بأنك أقل جمالاً من أختيك، وأنك لا تتمتعين بثقة بالنفس وبالقدرة على لفت الأنظار إليك مثلهما. ليس الجمال ضرورياً ليكون جواز سفرك إلى قلوب الناس. وليست كل الممثلات جميلات.» ضحكت وقالت ممازحة: «فأنا شخصياً لست جميلة.»

«آه، أنت،» قالت كاثرين، غير موافقة على كلامها.

ضحكت دودي مرة ثانية. «ماذا يعني، هذا الوجه؟»

قالت كاثرين بخجل: «أنت ممثلة بارعة. أنت تعرفين نفسك، ولست بحاجة إلى جمال لتكوني ناجحة.»

فقالت دودي: «حسناً. وهل تشعرين أنت أنك بحاجة إلى جمال لكي تنجحي؟»

توردت وجنتا كاثرين، ولكنها لم تجب.

«هل عانيت كثيراً خلال فترة طفولتك لأنك لا تتمتعين بمثل جمال أختيك؟» سألتها دودي بنعومة وكانت تراقب تعابير وجهها بينما تتحدث إليها. «هل كنت تشعرين بأنك منبوذة، فاشلة لأنك لم تلمعي مثل باقي أفراد عائلتك.»

انفجرت كاثرين غاضبة: «كان والدي دائماً يقول لي أنني قد استبدلت في المستشفى عند الولادة.»

«آه،» تنهدت دودي. «أنت تعرفين والدك، إنه لم يكن يعني ما يقول.»

أحضر سبي القهوة وقدمها لهما. كان يستمع إلى حديثهما، ولكنه لم يتدخل.

رجتها كاثرين. «ستكلمين أبي. أقنعيه بالتخلي عن هذه الفكرة! إنها فكرة ماكس نيلسون دون شك. فهو متطفل... إنه حيوان يحشر نفسه في ما لا يعنيه!»

نظرت إليها دودي. «سأخبرك بما سأفعل.» همست لها: «سآخذك غداً إلى مخزن رائع للألبسة. لقد تعرفت إليه في الأسبوع الماضي. إن صاحبة المخزن تصنع الملابس بنفسها، وهي أيضاً تصمم الأزياء بنفسها. لديها أزياء رائعة في المستودع، لم تعرضها بعد، إن جسمك النحيف مناسب لتجربة هذه القطع. سترين غداً كيف ستظهرين بهذه الملابس.»

انبهرت كاثرين بكلامها. «ولكن من المفروض أن نخبر والدي وماكس نيلسون.»

ربتت دودي على خدها. «كوني صبورة. غداً، بعد الظهر سأصحبك إلى المخزن. ولكن يجب أن تأتي إلى المسرح في الصباح، كما يريد رالف، وفي المساء سنتكلم معاً مع والدك، هل يعجبك هذا؟»

ترددت كاثرين، ثم قالت: «آه، نعم، سأنفذ ما قلته.»

فقالت دودي: «إذن ابتسمي.»

قبلتها دودي كمكافأة على ابتسامتها البسيطة. كما سرّ سبي لموافقتها وكافأهما بمزيد من القهوة.

الفصل الرابع

كان مسرح «كانت ويتش» قديماً، مطحنة للذرة. يقع على ضفاف نهر «دوردول» بين الحقول المترامية على جانبيه. إنه بسيط، لونه أبيض وله ميزات غريبة وفريدة. لقد حولت جمعية المهرجانات هذه المطحنة إلى مسرح لأن الطاحونة كانت بحاجة إلى بعض التصليحات، وفي نفس الوقت كان قد قرر إحياء المهرجان في كل سنة وهكذا فكر بعض القيميين على هذا الأمر بتحويل هذا المطحنة إلى مسرح مع إجراء بعض التعديلات.

لم يُمس الشكل الخارجي للمطحنة فيما عدا الدهان والتنظيف. لقد حولوا القبة الداخلية إلى غطاء لخشبة المسرح، التي بنيت بشكل يتيح للممثلين التجوال بين المشاهدين. وُضعت الكراسي حول خشبة المسرح بشكل نصف دائري... لقد كان مسرحاً صغيراً، صمم ليخدم أهدافاً متعددة من مسرحيات متنوعة وعروض غنائية وغيرها من الأعمال الفنية.

بني مطعم بالقرب من المسرح. وكان تصميمه مناسباً لما حوله. وقد أفسد موقف السيارة المنظر الخارجي وأفقده جماله. ولكن لا مهرب من هذا الأمر.

قاد ماكس السيارة. رافقته كاثرين وكليو. أما رالف فقد سبقهما، واصطحب معه دودي.

ارتدت كليو جينزاً أبيض من القطن. وبلوزة دون أكمام.

بدت باردة وغير مبالية، إنما أنيقة ومتألقة. أما كاثرين فكانت ترتدي تنورة زرقاء وقميصاً أبيض وظهرت قرب شقيقتها الجميلة كتلميذة مدرسة صغيرة. مما جعلت ماكس ينتقدها بنظراته الساخرة.

لقد كان المربع الخاص بالمسرح متصلاً بالمطعم. تشرف نوافذه على مياه النهر الخضراء التي تلمع تحت نور القمر.

كان المربع مزدحماً بالشبان والفتيات الذين وقفوا يتهامسون عند دخول رالف ودودي والآخرين.

توقف رالف ودودي في طريقهما إلى المسرح، في محطة سكة الحديد ليحضرا طرداً. لقد كانت دودي تنتظر حذاء من لندن، وها هوذا قد أرسل لها في أول يوم لإفتتاح المهرجان. لقد كانت دودي تشعر بضعف تجاه الأحذية الباهظة الثمن. لم تلامس الأحذية العادية الصنع قدميها في حياتها. فقد كانت تطلب أحذيتها من لندن وتدفع ثمنها مبالغ طائلة.

ابتسم رالف للحضور وحياهم قائلاً: «صباح الخير، إني آسف لهذا التأخير في يوم الافتتاح.» ضجت القاعة بأصوات وكلمات غير مفهومة. تأبط ماكس ذراع كاثرين. «إبقي معي، ربما احتجت إليك.» ثم فتح طريقه بين الحضور ووقف أمامهم يحييهم.

«صباح الخير.» نظر إلى الرؤوس الملتفتة. «هل الجميع هنا؟» نظر إلى كاثرين وقال: «أرجو أن تحصي العدد.» تكلم معها بلهجة رجال الأعمال.

صعدت إلى حيث يقف وبدأت تَعُد الرؤوس. لمحت نيكي

بينهم. ودهش هو عندما رآها ثم غمزها... فاحمرت وجنتاها.

«خمسة وعشرون،» همست إلى ماكس.

«عظيم، الجميع موجودون هنا.» أعطاها لائحة مطبوعة وقال: «والآن طوفي بينهم ودققي بالأسماء، وحاولي أن تحفظي الوجوه لتتعرفي عليها في المرة القادمة.»

نظر إليها نيك من تحت أهدابه الطويلة عندما دنت نحوه. كانت بعض الوجوه مألوفة لديها. فالبعض يعرفونها والبعض الآخر تساءل عن سبب وجودها. أما نيكي فاقترب منها. «أهلاً، يا حلوتي، منذ متى وأنت تعملين لدى ماكس نيلسون؟»

أجابت بهدوء: «منذ الصباح.»

قال نيكي بعصبية واضحة: «إنه سافل.»

«أنت تكرهه؟» بانت وكأنها دهشت لهذا الأمر مع أن رأيها هي أيضاً من رأي نيكي.

«لا أحد يحبه سوى دودي، هل صحيح أنها ستتزوج منه؟»

«وكيف لي أن أعرف، فأنا لست ممن يودعونها الأسرار.»

«أعرف أن ماكس نيلسون لا يعجبك، فقد عرفت هذا الأمر منك. ولكنك تحبين دودي كثيراً.»

فقالت: «أنت على حق. إن دودي لطيفة، لا، بل هي اللطف كله. إنها تحسن معاملة الممثلين المبتدئين وتشعرهم بالاطمئنان.» لمحت دودي حيث تقف وسط جمهور يتهاتف للكلام معها. كانت دودي تبدو مسرورة وهي تستمع إلى

أحاديثهم وتجيب عن أسئلتهم. ما زالت تشعر بحماس نحو مهنتها مع أنها كانت وما تزال في الطليعة. كانت تتمتع بأسئلة الجمهور وكأنها ممثلة مبتدئة في أول سلم النجاح.

لاحقت نظرات نيكي كاثرين. وفي تلك اللحظة وقفت فتاة تنظر إليهما وتتأمل نظراتهما. كانت طويلة، كستنائية الشعر والعينين ووجهها يضج بالنضارة والصحة.

نظرت كاثرين إلى نيكي متسائلة عن هوية هذه الفتاة. هز كتفيه ناكراً معرفتها، ولكن كاثرين اقتربت منه وسألته: «مشاكل يا نيكي؟» فقد عرفت سبب نظرات هذه الفتاة إليهما.

فقال: «إنها بولين، وهي تمثل دور «ماري آن» في الهاذارد غرين، أعرفها من المسرح معرفة بسيطة... أنت تفهمين هذه الأمور.»

قالت كاثرين: «أعرف،» وتحركت من مكانها بلباقة. كانت تريد أن تهرب من وجه نيكي. إنه يعرف هذه الفتاة جيداً، إنها صديقته. لماذا أغضبتها نظراتها. فليس بينها وبين نيكي سوى غزل خفيف دون أية وعود. لذا، يجب عليها أن تحافظ على كرامتها وتبتعد عنه لكي لا يلاحظ غيرتها.

أخذ ماكس اللائحة من يدها عندما عادت إليه. نظر إلى اللائحة وهز رأسه. شعرت بنظراته القاسية من تحت أهدابه الثقيلة تحذرها. فهو يعرف الكثير عنها وعن علاقتها بنيكي. إنها تكره هذا النوع من الرجال المتطفلين الذين يدسون أنوفهم في أمور لا تعنيهم.

جلس الجميع على مقاعدهم. وجلست بعض الفتيات على

الأرض كالقطط المتأهبة لرؤية الطريدة. بينما أخذ بعض الشبان مكانهم أمام المربع. أما ماكس فقد اتكأ على كرسي وأخذ يتأمل في وجوه الحضور.

تحدث ماكس عن حياة باسكال فلينت وعن أهم أعماله، وعن موقعه في المسرح الانجليزي وفي المسرح العالمي.

«مفروض بنا أن نجذب السياح من جميع أنحاء العالم. إن إنتاجنا هذا يعتبر من الدرجة الأولى، ويجب أن نحافظ على هذا المستوى من خلال خبرتنا وعملنا. نحن هنا لنعمل، لنتعلم ولنثبت أنفسنا في عالم المسرح...»

كانت كاثرين تتأمل لوحة مرسومة بالفحم معلقة على الجدار. لقد عرفت صاحب اللوحة. إنه «أوغسطس جون» ظهرت على الصفحة البيضاء ملامح شخصيته القوية. كان باسكال فلينت شخصية معروفة لدى الكثيرين. وقد أظهرت خطوط وجهه عبقريته النادرة. لقد كان شخصاً غامضاً، صعباً وقوياً.

تكلم ماكس عن المسرحيتين اللتين تخلدان ذكرى فلينت.

سمعته كاثرين يتحدث عن شخصية الخادم ثم توقف ليسأل والدها، الذي رد عليه ببساطة. ثم ابتسم له ابتسامة متواضعة. تأثر الحضور من اخلاص رالف ميلفورد العظيم.

نظر ماكس إلى كاثرين. لم تكن عيناه الكسولاتان وأنفه الكبير لتعبر عن أحاسيسه. ولكنه كان يخفي شيئاً مبهماً وراء تلك الملامح الغليظة.

كان رالف ممثلاً محبوباً لدى الجمهور، ولدى من يشاركه التمثيل على خشبة المسرح.

بعد ذلك، وعندما كانوا في طريق العودة إلى البيت، همس ماكس في أذن كاثرين: «إن رالف يزعم أنه من الفاضلين! مع العلم بأنه ليس كذلك...» كان يخفي ابتسامة تدل على دهاء ومكر.

لقد كان اللقاء الأول للمناقشة في أمور المسرحية عبارة عن ندوة اجتماعية، كما سماها ماكس. كانت تجمع عنصرين رئيسيين... الممثلين القدامى المشهورين يجرون خلفهم غيوم المجد والنجاح، ويقابلهم مجموعة من الشبان والفتيات المتشوقين لصعود سلم الشهرة.

كان الاجتماع ضرورياً. وقد فهم الجميع وتعرفوا على النظام الذي سيتبعونه خلال الأيام المقبلة.

«إنه شخص سريع الغضب،» قال أحد المشاركين بفرح عندما كانوا يغادرون المسرح.

لقد قام بمناقشة النصوص وأكد على المشاركة خلال العرض. ثم استمع إلى آرائهم حول العرض والحوار والعمل المشترك. وأنهى اللقاء عندما رفع صوته عالياً ليعطي أوامره النهائية.

أنا أكرهه وأحتقره. فكرت كاثرين في سرها. لماذا دعاها إلى المسرح؟ لقد شعرت بالإهانة هناك. كانت تنسى إلى أين وصلت بالتعداد في كل مرة تسمع أحداً ما يسأل متعجباً.

«حسناً.» رمت خصلات شعرها الأحمر على ظهرها ومشت نحو الحديقة.

ذهبت كاثرين إلى المطبخ لرؤية سبي ولمساعدته في عمله. ولكنه كان قد أنهى عمله قبل وصولها. لم يكن في

المطبخ، لا بد أنه قد ذهب إلى الحديقة. إنه يحب الوحدة والسكون ويتمتع بجو الريف الهادىء بعيداً عن ضوضاء المدينة. ولكنه كان في السابق يفضل حياة لندن الصاخبة.

لحق ماكس بها ووقف عند الباب وكأنه يريد إيقافها. اتكأ على جانب الباب وأخذ يتأملها.

سألها ساخراً: «هل كان صباحك مليئاً بالمفاجآت السيئة؟»

رفضت أن تجيبه، وأبعدت نظراتها عن نظراته. يجب أن لا يكتشف حقيقة شعورها تجاه وضعها بين أفراد عائلتها. لا تريده أن يعرف كم يحزنها واقعها المرير. كانت تحاول، في عزلتها، مداواة جراحها. ولا تحب أن يلاحظ شخص مثل ماكس التعاسة التي تؤلمها.

«إنك طفلة جاهلة وعنيدة.» فجأة تغيرت نبرات صوته وأصبحت تعبر عن عاطفة ودفء. «ألم يخبرك أحد عن جمال صوتك المسجون داخل هذه الحنجرة الذهبية؟»

دهشت لكلامه المفاجيء، وشعرت بالخجل لهذا الإطراء. «ماذا؟» لقد أخذتها المفاجأة.

ضحك عندما رأى الدهشة على وجهها. «يا فتاتي الصغيرة، ألم تسمعي صوتك من قبل! تعالي معي إلى الطابق العلوي...» وقفت متسمرة في مكانها. «لماذا؟»

فقال بهدوء: «لا أنوي أن أغتصبك في غرفتي. فلا تخافي، لو كان هذا ما يدور في هذا الرأس الصغير المليء بالشك. لدي آلة تسجيل في غرفتي.»

نظرت إليه مذهولة. «هل تريد أن تسجل صوتي؟»

صمت ونظر إليها ثم هز رأسه موافقاً. ازدردت كاثرين

لعابها. لقد كان جاداً! قالت بعد لحظة صمت: «لا! لا أستطيع... على أية حال، يجب أن أذهب مع دودي إلى السوق.»

ظهرت دودي فجأة. ابتسمت لكاثرين ابتسامة أم حنون. «لم أستطع النوم مع العلم بأنني أشعر بالإرهاق. ولكن، يجب أن نستغل كل دقيقة من وقتنا... هل أنت مستعدة، يا عزيزتي كاثيا؟»

أومأت كاثرين برأسها وقد شعرت بارتياح لأن دودي أنقذتها من ماكس في الوقت المناسب. وقف ماكس يتأملها ثم جاءت نبراته حادة وساخرة. «لقد تأجل موضوعنا!» ثم ابتسم. «سنتابع حديثنا لاحقاً.»

نظرت إليه كمن يتوعد عدواً أمامها... وانسحبت.

أثارت هذه النظرات فضول دودي. فسألتها: «ما هذه العلاقة الغريبة بينك وبين ماكس؟» كانت تقود سيارتها عبر طرقات البلدة الهادئة. «إنه عبقري، أتلاحظين هذا؟»

قالت كاثرين بإصرار: «إنه يملك صفات الديكتاتور البائس.»

ضحكت دودي بنعومة. «كوني حذرة، يا عزيزتي، إن ماكس عديم الرحمة. وهو قادر على الحصول على ما يريد.»

لم تحاول كاثرين التفكير في ماكس ولا تحليل شخصيته. ولكن ملاحظة دودي جعلتها تشعر بالخجل. ضحكت دودي مرة ثانية، ولكنها لم تعلق على تورد وجنتي كاثرين.

يقع مخزن الملابس في الشارع الخلفي للبلدة. وقد عُلق ثوب واحد في واجهة المحل الصغيرة. أسود وأبيض اللون

مع قصة على الخصر وفتحة عند العنق. إنه فستان سهرة يجمع الأناقة والاحتشام معاً.

رحبت بهما صاحبة المحل. تكلمت معها دودي على انفراد. ثم أخذتا تتأملان كاثرين وتتهامسان.

غضبت كاثرين وشعرت بالإحراج. ثم وجدت نفسها ترتدي ثوباً وتخلع آخر. وعيون السيدتين تلاحقها متأملة تفاصيل جسدها، عابسة حيناً، أو راضية حيناً آخر. لم تقتنع دودي بكل تلك الأثواب فكانت تطلب المزيد، وأحياناً يعجبها ثوب ولكنها تئن من قصة أو طول أو لون.

أخيراً، وبعد جهد، وقع اختيار دودي على ثوبين، لم تكن كاثرين لتختارهما لو كانت بمفردها، كان أحد الثوبين حريرياً أنيقاً مشمشي اللون، مع شال يتدلى حول فتحة العنق. أما الثاني فقد كان أخضر اللون، عبارة عن تنورة واسعة جداً وخصر ضيق تعلوه بلوزة تبرز تفاصيل جسدها. كذلك فقد أرغمتها دودي على شراء سروال بني اللون مع سترة قرفية اللون.

«وذلك الثوب المعلق في واجهة المحل!» سألت دودي قبل أن تنسحبا من المخزن. «إنه يبدو مناسباً لها.»

«آه، طبعاً... إنه قياسها.» فقالت صاحبة المحل موافقة وسوف يعجبها لو جربته.»

«لا... لا أستطيع.» صرخت كاثرين.

ولكن دودي صممت وقالت: «بلى.» ثم أشارت إلى صاحبة المحل لتنزل لها الثوب من واجهة المحل.

تجاهلت السيدتان إحتجاج كاثرين. هل ستعود لتجربة الأثواب من جديد. إرتدت الثوب مرغمة، ودهشت لرؤية ظهره

المفتوح. معلقاً في الواجهة. صرخت عندما التفتت ونظرت في المرآة إلى ظهرها العاري. «لا... لا أريده، إنه مفتوح كثيرٌ على الظهر.»

ضحكت دودي. «ولكنه محتشم من القبة إلى الذيل. وهو يغطي كل أجزاء جسمك... من الأمام.»

«ولكن... الظهر...»

«رائع،» قاطعتها دودي.

«متكامل،» وافقت معها السيدة الأخرى.

نظرت إليهما كاتيا وقد نفد صبرها «لا أستطيع ارتداءه. لا أستطيع الظهور به في مكان عام.»

«ولكنك سترتدينه يوم الافتتاح.» قالت لها دودي وهي تبتسم فرحة: «ستظهرين بنمط جديد.»

وبدا عليها اليأس: «لا أريد أن أظهر بنمط لا يعجبني.»

ضحكت السيدتان وكأنهما سمعتا نكتة مضحكة. ولكن كاثرين لم تشاركهما الضحك، كانت تفكر بردة فعل والدها عندما يرى فاتورة ثمن الثياب. شعرت بالإغماء وهي تقرأ الثمن المعلق على السروال. أحست بألم في ركبتها فهي لم تعد تقوى على الوقوف على قدميها وخصوصاً عندما بدأت صاحبة المخزن بوضع الملابس في أكياس خاصة بالمحل. اقتربت كاثرين وهمست في أذن دودي لتأخذ رأيها في الأسعار.

قالت دودي ببساطة: «لا تشغلي تفكيرك بالأسعار، فقد اتفقت مع رالف بهذا الشأن.»

قالت كاثرين وقد أحست بالذنب: «ولكنني لم أدفع في حياتي أسعاراً مثل هذه، ثمن ثياب لي.»

تمتمت دودي: «هذه هي المشكلة، لهذا تظهرين دائماً بمظهر تلميذة صغيرة. لأنك تشترين ملابس لا تظهر جمالك. أنت واحدة من آل ميلفورد. ولقد حان الوقت لترتدي كما يرتدون.»

فقالت كاثرين: «إنني أرتدي الجينز في أكثر الأحيان، أنا أحب ارتداء الجينز.»

«الجينز!» ضحكت دودي: «لِمَ لا؟ عندما تكون المناسبة تحتاج ارتداء الجينز، ولكن ليس في كل الأوقات... لا في حفلات الكوكتيل ولا في حفلات العشاء وليالي افتتاح المهرجانات أو المسرحيات. أنت بحاجة إلى الدفء واللون والأناقة. وأنا متأكدة من أنك ستحصلين على هذه الصفات في المستقبل.

عادت دودي وكاثرين إلى البيت. كان الجميع في الحديقة... متمددين على العشب. كانت كليو تلبس سروالاً فضياً ونظارات سوداء وقبعة من القش زرقاء اللون.

أما ماكس فكان يرتدي قميصاً فضفاضاً من القطن وقد بدا نائماً على كرسيه. كان رالف يقرأ الحوار في مسرحية الرجل الخادم ... وتتحرك شفتاه بصمت أثناء القراءة.

نظرت دودي إليهم وقالت ممازحة: «إنكم جميعاً عظام كسولة.» فتح ماكس عينيه. ونظر إلى كاثرين. صُدم عندما رآها مرتدية ثوباً أخضر جديداً. ورأت هي بريق عينيه تحت أهدابه الكثيفة.

قال ساخراً متشدقاً في ألفاظه: «حسناً، حسناً، حسناً.»

جلست كليو وأبعدت نظارتها الشمسية عن عينيها. «ما الذي يحدث هنا؟ من هذه الحورية؟» لمحت دودي تبتسم.

«لقد حركت عصاك السحرية، أليس كذلك، يا عزيزتي، دودي؟»

ضحكت دودي، وكأن الأولاد يتشاكسون أمامها. «الآن، الآن،» قالت بصوت عالٍ: «أنت لن تغاري من شقيقتك الصغيرة، يا عزيزتي كليو. هذا مؤكد...»

ضحكت كليو ببرود: «من كاثرين؟» جاءت نبرات صوتها باردة كالجليد.

لم يبعد ماكس نظراته عن كاثرين. كان يتأملها ببرود ويتفحصها بعينيه من رأسها حتى أخمص قدميها.

لقد أخذتها دودي إلى المزين، حيث صفف لها شعرها البني الداكن بطريقة جميلة تناسب وجهها الرقيق. غطى ذلك الطراز عيوب عظام وجهها بينما أظهر اتساع عينيها الزرقاوين الداكنتين. كانت قد وضعت «مكياجاً» خفيفاً وأضافت ظلاً أزرق على جفنيها، زاد من بهجة عينيها. وأظهرت الأهداب الإصطناعية سحراً وغنجاً في وجهها.

كان لديهما مزيد من الوقت لشراء حذاء لكاثرين. وكان لدودي متعة في انتقاء الأحذية. فسرّت كاثرين بالحذاء الجلدي الأخضر الذي اختارته لها.

ابتسم ماكس معجباً. «لقد قمت بمعجزة.»

ضحكت دودي. «لقد تطلب مني هذا العمل جهداً، فقد قاومتني الضحية كثيراً.»

«أعرف هذا!» كشف ماكس عن أسنانه بابتسامة عريضة. حدقت كليو إلى دودي وكاثرين والشك يملأ قلبها. «أشم رائحة مؤامرة. هل صادفت كاثرين حظاً سعيداً هذا الأسبوع بمحض الصدفة؟»

علق ماكس على هذا الحديث صارخاً: «مياو!»

توردت وجنتا كاثرين. «لا أحتاج إلى مواساتكم، شكراً!» تركتهم وذهبت إلى البيت. ضحكت كليو ولكن دودي نهرتها قائلة: «يا لك من هرة غيور. لماذا قسوت على أختك؟ هل تسعدين بمثل هذه التصرفات؟ إني أشعر بالشفقة عليك، لأنك أنانية.»

احمر وجه كليو من شدة الغضب. «تشفقين علي؟ عليك أن تشفقي على كاثرين. كانت سعيدة وراضية بحياتها في البيت. ولكنكما ستحطمانها لو تابعتما لعب دور العراب والعرابة. أنت تتكرمين عليها ولكنك تخطئين في توجيهها.» رفعت رأسها عالياً واتجهت نحو البيت.

نظر رالف إلى دودي وماكس وسأل نفسه: «ما بال هذه الفتاة؟ إنها جميلة جداً ولكنها صعبة المراس...»

قال ماكس: «إن كليو تتمتع بشعبية كبيرة، وقد تسلقت سلم الشهرة بسرعة... فأصبحت نجمة مسرح في وقت قصير. لا بد أن هذا زاد من غرورها.»

وافقت دودي على ذلك. «حقاً، أرى الغضب دائماً في عينيها. أرى ثورة في نظراتها. لقد أعمتها الشهرة.»

تساءل رالف مذهولاً: «هل تعتقدين ذلك؟ أنا لا أجد الأمور سيئة إلى هذا الحد.»

ضحكت دودي وابتسم ماكس. «عزيزي رالف.» تمتمت دودي، ومالت لتقبّل خده: «كم أنت ساذج في بعض الأحيان...»

كان رالف مسروراً ومحتاراً في آن واحد. ترك ماكس في الحديقة ودخل مع دودي إلى البيت ليغيرا ملابسهما

قبل تناول الشاي. كان سبي مشغولاً في ترتيب المطبخ عندما دخلت كاثرين. كان قد جهز بعض الشطائر المثلثة الشكل وقطعاً من الكاتو المثلج وشرائح بسكويت مدهونة بالشوكولا، بالإضافة إلى قالب من الحلوى تزينه القشدة البيضاء.

عادت كاثرين إلى ارتداء الجينز... وكأنها ترتدي ثوب الإخفاء. لقد شعرت بألم في معدتها من جراء الضغط على أعصابها لدى رؤية نظرات ماكس المذلة.

سألها سبي: «أين الثياب الجديدة؟ شعرك هكذا جميل ويناسب وجهك.»

فقالت كاثرين: «شكراً لك، هل تريد أية مساعدة؟»

«خذي هذه الصينية إلى الحديقة. لقد سألتك أين الملابس الجديدة؟»

أجابت ببساطة: «في الطابق العلوي؟»

«متى أراها؟... لاحقاً؟»

فأجاب ماكس حيث يقف بالقرب من الباب: «نعم، ما هذا؟ أرى أنك عدت إلى الجينز. إنك تتراجعين وتعلنين عن الهزيمة. وهذا ليس في مصلحتك.»

نظرت إليه وكأنها تخبره عن كرهها له. أحست بأنه وراء هذه التعاسة التي تشعر بها مؤخراً. «آه، لِمَ لا تهتم في شؤونك، و تتدخل في ما لا يعنيك؟»

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي. ألح رالف على كاثرين، طالباً منها إرتداء السروال الجديد مع السترة البنية اللون. وذلك بمناسبة اللقاء الثاني للأفراد المشتركين في المهرجان. حدقت كليو إليها، ولكنها لم تتفوه بالكلمات التي كانت تجول في خاطرها. كانت ترتدي قميصاً أخضر دون أكمام، وتنورة قصيرة تبرز جمال ساقيها الذهبيتين.

«جميعنا نشيطون هذا الصباح،» قال ماكس ذلك عندما اجتمعوا في المسرح لقراءة النص وتوزيع الأدوار. تقدمت منه كاثرين وأعطته ورقة وقلم رصاص، وساعة ضبط الوقت ونسخة عن المسرحية.

لم تنظر إليه. أرادت أن تستعمل طرقاً جديدة في معركتها معه. إنها لا تستطيع أن تتغلب عليه في الحوار. وخطتها الجديدة ترمي إلى التصرف بصمت.

كان نيكي آخر من وصل إلى المسرح. ظهر وسيماً، شعره الذهبي مسرح بطريقة تزيد من أناقته. إبتسم لماكس. «إني آسف، أيها العجوز، فقد غلبني النوم.»

قال ماكس ببرود: «عندما أحدد وقتاً للقاء، أريدك أن تحترمه وتأتي في الموعد المحدد. هل فهم الجميع؟»

قال نيكي مبتسماً: «آه طبعاً.»

بدأوا بقراءة الحوار. كانت القراءة سريعة دون أي تعبير، فقد أرادوا تكوين فكرة عامة عن النص.

عندما انتهى الإجتماع، تقدم نيكي من كاثرين. «إنك تبدين رائعة،» أبدى أعجابه بها، «ماذا تغير فيك؟ إن هذا الزي جميل عليك. هل تتناولين الغداء معي؟»

ضحك، وتوردت هي خجلاً. «شكراً لك.» لقد شعرت بقلبها يخفق بسرعة عندما وجه اليها هذه الدعوة. لم تعد تقوى على الحركة. تمنت لو كانت ترتدي ثوب البارحة الذي أظهرها أنيقة وجميلة.

تقدم ماكس منها وقال: «انني آسف، لكنني أريدك لمدة ساعة في وقت الغداء. سنعيد مراجعة المسرحية في الساعة الثانية. آه... نيكي، أرجو أن لا تتأخر مرة ثانية. هل فهمت؟»

لم يهتم نيكي لكلام ماكس، التفت نحو كاثرين وابتسم لها. «يا للأسف، ربما في وقت آخر.» ثم نظر إلى ماكس «سأكون في الوقت المناسب، لا تشغل بالك.»

قال ماكس: «من الأفضل لك أن تنفذ ما تقوله، ثم التفت نحو كاثرين، وعيناه تشتعلان غضباً. «سيكون غداء عمل، سأملي عليك بعض الملاحظات.»

قالت محاولة التهرب من العمل معه: «لا أعرف الإختزال.»

«أنا بحاجة إليك، أعلم أن في امكانك الطباعة على الآلة الكاتبة، لقد رأيتك تطبعين في البيت.»

اعترفت بقدرتها على العمل على الآلة الكاتبة. وقال لها ماكس أنه يفضل أن يقرأ لها وهي تطبع بدلاً من أن تكتب بلغة الإختزال.

قدم مطعم المسرح لهما بعض السندويشات والفاكهة، ثم

القهوة. أكلا وشربا بينما ماكس يملي عليها الملاحظات. كان يتمشى ذهاباً وإياباً، عابس الوجه مقطب الجبين وهو يتحدث بسرعة عن الإنتاج. كانت الأفكار تنساب بسرعة البرق. مما جعل كاثرين تشعر بالتعب. لقد أحبت أن تتناول الغداء مع نيكي، ولكنها لم تشعر بالوقت يمر، فقد جذبتها أفكار ماكس وآراؤه. كان كرجل السيرك الذي يحرك يديه بسرعة عجيبة ليرمي الكرات في الهواء. راقبته كاثرين وقد أنهكها التعب. كيف يمكن لرجل مثله أن يكون بهذا المستوى من الذكاء وسرعة البديهة وقوة الانتباه؟ لم يغب عن نظره شيء، كان واعياً لكل ما يجري حوله... إنه، والحق يقال، مبدع.

لقد أصبحت تخافه بالقدر الذي كانت تكرهه...

الفضول هو من عادات الانسان. وهي لا تحب ماكس لأنه يتمتع بهذه العادة التي جعلته يبدو عدواً لها. نظر إليها وكأنه يقرأ أفكارها. شعرت بنفسها وكأنها حواء في حديقة عدن، تقف أمام عينيه.

أعطاها كتاب شعر وقال لها: «فتشي لي عن رباعية فلينت التي كتبها لعشيقته الفرنسية.» ثم مشى بخطوات ثقيلة وخرج من الغرفة.

عاد بعد لحظة، وكانت قد وجدت قطعة الشعر. قدمت له الكتاب المفتوح على الصفحة المطلوبة. رن جرس الهاتف. تناول ماكس السماعة وقال: «نعم. نيلسون المتكلم. آه، حسناً، سأنتظر... رفع حاجبيه ونظر إلى كاثرين، وأمرها: «إقرأي بصوت عال.»

شجعت نبرات صوته الباردة كاثرين على القراءة

وأعطتها ثقة في نفسها. لقد كانت رائعة في قراءة الشعر وخاصة هذه القطعة التي عرفتها سابقاً. كانت قد وصلت إلى الشطر الأخير عندما رفع ماكس يده ليسكتها. وعاد ليتكلم عبر سماعة الهاتف. «هل تناولت غداءك؟ حسناً، أنا في انتظارك.»

فتح الباب خلفها، ودخلت دودي وهي تبتسم. قدم لها ماكس كرسياً. «إجلسي هنا واستمعي.» فتح درج مكتبه وأخرج منه آلة تسجيل. ذهلت كاثرين عندما رأت الآلة تعمل. أوقف ماكس آلة التسجيل ونظر إلى دودي وابتسم.

«هل أنت مرتاحة؟ إذن سنبدأ.» حرك الآلة الصغيرة السوداء بيديه، ثم أدارها فجاء صوت كاثرين عبرها ليملأ أرجاء الغرفة.

توهجت وجنتاها وحدقت إليه بكره. لقد شعرت بخجل واستياء عندما سمعت صوتها. أرادت أن تهرب من أمامهما، ولكن سبقتها دودي فتقدمت منها وأمسكت يدها بحنان.

أوقف ماكس الآلة عند انتهاء كلام كاثرين.

نهضت كاثرين من مكانها. «إنه شيء مضحك، ما هذه المهزلة... أنت تخدعني! لماذا لا تراعي مشاعر الآخرين؟ أرأيت بشاعة صوتي؟ ماذا تريد مني؟ إنني أكره المسرح. لا أريد أن أعمل هناك. أرجوك دعني وشأني!»

تحرك ماكس نحوها. أمسك بها بينما كانت تتجه نحو الباب. ضغط بأصابعه على زندها ليمنعها من الخروج.

قال مكشراً: «إنك فتاة حمقاء، صغيرة ومجنونة.»

وقفت دودي وابتسمت لها. «عزيزتي كاتيا! لا بد من أنك صماء. إن صوتك رائع ومعبر بشكل لا يوصف. لا أعرف

لماذا لم يلاحظ أحد من أفراد عائلتك موهبتك هذه. هل هم أيضاً صم لا يسمعون!»

وقفت كاثرين في مكانها. كان معصمها ما يزال بين أصابع ماكس. نظرت إلى دودي وسألتها: «هل صوتي.... جميل؟» ازدردت ريقها وقالت: «لقد سمعته... إنه رديء.»

ضحك ماكس. فحدقت إليه بعينين غاضبتين.

«ولكن، يا عزيزتي كاتي،» قالت دودي بصوت تنم نبراته عن عاطفة ومحبة. «عندك طبقات مختلفة. ولهذا يعتبر صوتك رائعاً ومعبراً.»

«يصدح صوتك كالكنار، ومن ثم يغوص حتى يصبح كالهمس. إنها طبقات صوت رائعة.» همس ماكس لدودي بينما كان ينظر إلى كاثرين معبراً عن إعجابه بها. إن ماكس نيلسون لا ينظر إلى امرأة بهذه الطريقة إلا إذا كان يحبها. فكرت كاثرين بذلك عندما رأته يتكلم مع دودي ونظراته تلاحق عينيها. هل تحبه دودي؟ لم تكن كاثرين متأكدة من الجواب.

كانت دودي تتكلم مع ماكس، تهز رأسها تارة، وتبتسم طوراً. «ماكس، ماذا سنفعل بملاكنا الصغير الأعمى؟»

فقال بهدوء: «علميها كيف تستعمل أجنحتها؟»

«هل يجب أن أعيد كلامي دائماً؟» صرخت بهما كاثرين. «إنني سعيدة بما أنا عليه!»

فنهرها ماكس: «أنت جبانة، أنت خائفة من الفشل.» نظر إلى وجهها وابتسم. «يجب أن يتعلم الجبان القتال وليس الهرب، ليتمكن من مواجهة القدر.»

حاولت أن تخلص معصمها من يده. ولكنه أطبق قبضته وابتسم ابتسامة عريضة.

قالت غاضبة: «أنت متوحش، دعني أذهب.»

«لن أدعك تهربين مني.»

لم توافق دودي على عمله هذا. «عزيزي ماكس، أترك الطفلة! لماذا تتصرف كالمستبد منذ الصباح؟»

قالت كاثرين بسخرية: «إنه طاغية.»

أفلت معصمها. ونظرت إليه دودي غاضبة. «لا أعرف ما أصابك يا ماكس، إنها ليست مثلك.» اقتربت من كاثرين ونظرت إليها والحنان يملأ عينيها. «ولكن، يا عزيزتي، يجب أن تصدقي ماكس في كل ما قاله عنك. لقد مُنحت صوتاً جميلاً... إنها موهبة، وعليك أن تستعمليها.»

«يحتاج التمثيل إلى مواهب غير الصوت،» قالت كاثرين ذلك وقد شعرت باليأس.

وافقت دودي. «آه طبعاً، يتطلب التمثيل الحضور المسرحي وقوة الشخصية...»

قالت لها كاثرين: «وأنا لا أملك هذه الصفات.»

قال ماكس موبخاً: «لم تطأ قدماك خشبة المسرح.»

«أعرف هذا... ولكن...»

فقاطعها: «كما تعرفين رداءة صوتك.» وضحك رافعاً حاجبيه.

«آوه!» تنهدت كاثرين وقد نفد صبرها.

وقف ينظر إليها. كانت تشعر بالسخرية من خلال نظراته. «لماذا نكذب عليك؟ صدقيني، إنك تتمتعين بمزايا عديدة، صوتك جميل ووجهك جذاب، حتى لو لم تكوني حبة شوكولاتة في علبة ميلفورد!»

«علبة شوكولاته!» تساءلت.

«طبعاً، فهم كحبات الشوكولا... بشعرهم الأشقر، حبات حلوة وشهية.» أشار إلى رأسه. «ولكنهم لا يملكون شيئاً هنا.» ثم أشار إلى صدره «أو هنا! إنهم لا يملكون ثقافة ولا حساسية. إن رالف ممثل موهوب، وقد خدمته هذه الموهبة في مهنته فقط. أما فيولا، فهي فتاة لعوب وطائشة. تظهر ذكاءها ومرحها على المسرح، ولكنها ليست قادرة على أن تحرك مشاعر الجمهور وتجعلهم يذرفون دمعاً. وكليو... حسناً، كليو... إنها فاشلة. يقع في حبها كل رجل يراها تمشي على المسرح. إنها بعيدة كل البعد عن التمثيل. إنها عارضة جمال فقط.»

لم تصدق كاثرين ما تسمع. إنه يحطم كل ما كانت تؤمن به في طفولتها. هل يقول ماكس نيلسون هذه الأكاذيب ليصل إلى غايته؟ فقد كبرت وشبت وهي تعلم أن كل فرد من أفراد عائلتها موهوب ولامع وجميل. والآن يحاول ماكس تحطيم هذه الحقائق.

وضعت دودي ذراعها حول عنق كاثرين، قربتها إلى صدرها كأم حنون. «لا تشتت أفكار الطفلة، يا ماكس، لقد أخطأت بقول هذه الأشياء لها. إنها مخلصة لعائلتها.»

«لقد حان الوقت لتراهم على حقيقتهم.» قال ذلك وقد شعر بضيق صدره: «لقد نجحوا لأنهم يعرضون أنفسهم... ألم تلاحظي هذا، يا كاتيا؟ إنهم يتمتعون بقسط من الجمال، يجذب جمهوراً خاصاً. قليلون من الممثلين الصاعدين يتبعون طريقة آل ميلفورد. ممثلو اليوم يحتاجون الى العمل الدؤوب والتفكير السليم والشعور بالقوة... لا بالجمال! حاولي أن تنظري إلى الأشخاص الذين جمعتهم للمهرجان. إنهم شبان متحمسون

للعمل. هل رأيت صورة أحدهم على غلاف مجلة أو إعلان تلفزيوني؟ ليست غايتهم عرض أنفسهم أو أزيائهم على خشبة المسرح. إن غايتهم العمل الجدي.»

«لماذا طلبت من كليو ووالدي أن يشاركا في مهرجانك الثمين هذا، مع انك تقول أنهما لا يعجبانك كممثلين؟» نظرت إليه معبرة عن احتقارها له. إنه ينتقد عائلتها ثم يطلب منهم أن يظهروا في مسرحيته... ألا يخجل من نفسه؟

هز ماكس كتفيه. «إن رالف يعي قدراته ويعرف كيف يستغلها. وهذا ما تتطلبه الحياة... فنحن نستنفذ طاقاتنا ومواهبنا دون أن نسعى إلى تطوير قدراتنا.»

كانت دودي تستمع إليه وهي تمسك بيد كاثرين بحنان. «إن ماكس على حق في كل ما يقوله.»

قال ماكس: «لم تحاولي حتى أن تظهريها. بل حاولت أن تتجنبي الأماكن التي تساعدك على إبرازها.»

«كنت أتمنى أن أتجنبك.» هربت من الغرفة مذعورة. سمعت دودي تناديها قبل أن تغلق الباب وراءها. ثم اتجهت نحو باب الخروج الخاص بالمسرح.

ركضت كاثرين عبر الطريق المؤدي إلى ضفة النهر، ثم مشت مسرعة على العشب الأخضر، كانت عيناها تشتعلان من الغضب. ولكن... كان صوت ماكس يتردد في ذهنها... كانت تعيد كلماته كشريط سينمائي. علبة شوكولا... الناس... الموهبة. هل كان وصفه لعائلتها وصفاً عادلاً؟ ثم تنكرت كلامه عن هروبها من الواقع، وكيف نعتها بالجبانة لهروبها من المسرح.

وقفت تتأمل المياه الجارية أمامها. هل أنا جبانة؟ سألت

نفسها وهي تنظر إلى مجموعة من البط سبحت نحوها وهي تأمل بقليل من فتات الخبز.

وقفت وكأنها تتحدى نفسها، أنساها غضبها مكان وجودها. وقالت بصوت عالٍ: «كلا، أنا لست...»

سمعت ضحكة خلفها، فالتفتت إلى الوراء. كان نيكي يقف خلفها بشعره الأشقر الذي يلمع تحت أشعة الشمس. نظرت إلى عينيه الزرقاوين عندما سألها: «ما بكِ؟»

هزت رأسها نافية: «لا شيء!»

كانت عيناه مليئتين بالشك. «لقد أصبحتِ كتوماً، يا كاتي.» لقد قال لها هذا الكلام عندما كانا صغيرين. كان في ذلك الوقت يدعوها كاتي، ولكنها كانت تفضل اسم كاتيا، لم تعرف لماذا؟

وسألته: «كتوم؟»

«لم تقولي أنك ستأتين إلى «كانت ويتش.» ونظر إليها بلوم.

«وأنت أيضاً لم تقل لي.»

ضحك وقال: «حقاً، ألم أقل لك؟ لم أرك في المدة الأخيرة.» مالت عيناه الزرقاوان نحوها. «علينا أن نعالج هذا الأمر.»

أخذ قلبها يخفق بسرعة. ابتسمت له. لقد بدأت تفهم كلام ماكس.

تعود نيكي أن يرى تلك الصبية الصغيرة البسيطة أمامه. تعجب للتغيير الذي أصاب إبنة عمه. كانت تخجل عندما ينظر إليها. ولكنها الآن تنظر إليه... تفكر... وتبتسم. لم يعجبه هذا الواقع الجديد.

نظر إلى عينيها مرة ثانية. لقد تغيرت حقاً. لم يكن التغيير في الملابس ولا في تصفيف الشعر. أحس بأن داخلها قد تبدل. شعر بالحيرة. هل في إمكان كاثرين أن تتغير بهذه السرعة... ولماذا؟

مشى نيكي بالقرب منها على الطريق المؤدي إلى المسرح. دخلوا وسط جموع الممثلين والممثلات الشبان الذين رحبوا بهما. كانت ما تزال غير معروفة من البعض.

كانت بينهم تلك الصبية التي أبدت اعجابها بنيكي في المرة الماضية. ولكنها كانت هذه المرة تهتم بشخص آخر، رجل أسود الشعر، بارز الملامح. نظر نيكي إليهما ملياً.

قطبت كاثرين حاجبيها. إن نيكي... غيّور... متكبر ومثير للغضب. إنه مزيج من هذه الصفات الثلاث. هل جاء ليحتال عليها بإيهامها بحبه لها عندما وجد أن فتاته فضلت شخصاً آخر عليه؟ هل يتآمر على قلبها وأحاسيسها؟

كان ماكس ينتظر حضور الجميع إلى المسرح. لم يعجبه دخول كاثرين برفقة نيكي. نظر إليها ببرود، ولكنه لم يعلق ولم يسأل عن غيابها. حاولت أن تكون هادئة وشجاعة. لكن الشريط السينمائي كان يعيد نفسه في مخيلتها. والسؤال الذي يقلقها هو، هل كان كلام ماكس صحيحاً بشأن صوتها أم أنه كان يسخر منها؟

اوت إلى سريرها باكراً تلك الليلة. لم تغمض عيناها طوال الليل بسبب صداع في رأسها أحست به بعد خروجها من المسرح.

وتساءلت، هل من المفروض بها أن تقبل هذا التغير في حياتها؟ سألت نفسها. لقد كانت تحلم بأن تصبح سيدة بيت

ممتازة. فقد كانت تحب الأعمال المنزلية من طبخ وتنظيف وشراء الحاجيات. كان ذلك يشعرها بالرضى...

تعجبت من نفسها، وتساءلت: هل؟ هل حقاً؟ هل في استطاعتها أن تقوم بعمل خلاق ومثير؟ عمل يجعل والدها يقف مشدوهاً أمامه؟... هل ستكون فرصتها مع ماكس...؟

أسئلة وأسئلة كانت تدور في رأسها. فجأة ارتعشت. وماذا لو فشلت بعد كل هذا...؟

جلست في سريرها. إن ماكس على حق. فهي تريد أن تفعل شيئاً أكثر من الهروب. فلقد كانت تخاف الفشل. لذا دفعت عنها أحلامها المزعجة وتخلصت منها بقلب شجاع.

نظرت إلى الساعة. إنها الواحدة والنصف صباحاً! شعرت بالجوع. كانت قد تناولت عشاء خفيفاً، أكلته وهي في سريرها. ثم شربت فنجان قهوة سوداء. كذلك لم تتناول سوى سندويشات صغيرة عند الغداء. لهذا هي تشعر بالجوع.

نزلت من سريرها وارتدت عباءة فوق قميص نومها الأصفر اللون. نظرت إلى نفسها في المرآة، فرأت فتاة صغيرة نحيلة الوجه.

حطم صوت، سكون الليل، لقد سمعته من القاعة السفلى. ولكنها، لم تسمع سوى دقات الساعة وهدير الثلاجة في المطبخ وهدير باب تحركه ريح الصيف في آخر الممر.

فتحت باب المطبخ ودخلت. تسمرت في مكانها حين رأت ماكس أمامها، كان يقف بالقرب من الثلاجة.

فقال ببرود: «حسناً، تعالي، أدخلي، هل أنت جائعة؟ أنا

أيضاً جائع وقد صنعت عجة من البيض. تستطيعين أن تشاركيني الأكل.»

فرفضت عرضه: «لا، شكراً، سأتناول قطعة من الجبن.»

أجابها: «من الصعب أن تهضمها معدتك في الليل، من الأفضل أن تأخذي قطعة من العجة المقلية.» قطع قطعتين كبيرتين من العجة الهشة ووضع كل قطعة في صحن.

ترددت قبل أن تأخذ الصحن. نظر إليها وضحك. «آه، لتعابير وجهك، إنها تعابير وجه طفلة صغيرة ثائرة... أليس كذلك؟»

فقالت: «هل أزعجتك؟ أنا آسفة.»

فقال ببساطة: «لا، لم تزعجيني، أرى الأمر مثيراً.»

توردت وجنتاها خجلاً، فهي لم تفهم ماذا يعني، ولكنها لم تتجرأ على سؤاله. دهشت عندما وضعت اللقمة الأولى في فمها. فقد وضع في العجة، بيضاً وبصلاً وزيتوناً. وقالت له: «إنها لذيذة.»

ضحك ماكس. «هل أنت مدهوشة لأنني طبخت؟ فأنا أعيش لوحدي. وتناول الطعام في المطاعم شيء مكلف.»

نظرت كاثرين إليه. لم تتخيل كيف يعيش ماكس قبل هذه اللحظة. فهو، كأي رجل عازب، يحتاج إلى طعام وغسل ثيابه وكيّها وتنظيف البيت. وماكس من الرجال الذين يظهرون دائماً في المجتمعات، في كامل أناقتهم. كانت تعتقد بأن عنده خادماً أو خدم يقومون بمتطلباته. «هل تطبخ بنفسك؟» سألته وقد ظهرت الدهشة في عينيها.

فهز كتفيه: «أحياناً، يقوم زوجان في الاعتناء بشقتي. لقد وظفتهما شركة للعناية بالشقق في البناية التي أسكنها.

إنهما يقومان بالتنظيف لمدة ساعة في الصباح. ويهتمان ببعض الأمور المنزلية. أما بالنسبة للطعام، فأحياناً، أقوم بتحضيره بنفسي وفي أحيان أخرى أحضر معي بعض الطعام الجاهز، أو أجد من يشفق علي ويطبخ لي.»

فسألته: «صديقة مثلاً؟»

وافق ببساطة: «بالضبط.»

قالت: «ليست دودي.» لم تتصور أن تقوم دودي في تحضير الطعام لماكس.

فرفع حاجبيه: «دودي؟ هل تتصورين أنها صديقتي؟» ونظر إلي كاثرين التي شعرت بالإحراج.

«حسناً، أنا... هو...» تلعثمت وخانتها كلماتها. نظر إليها ماكس وابتسم.

«أرى أنك قد كونت فكرة خاطئة عن دودي.» تمتم ماكس: «أخبريني ماذا خططت لنا؟ حفلة زفاف... ربما؟»

فاحمرت وجنتاها: «لا تضايقني هكذا!»

فسألها: «وهل تعتبرين أن تلك الشائعات صحيحة؟ أم أنها من اكتشافك؟»

أكلت قطعة العجة. صبّ لها ماكس فنجاناً من الكاكاو الساخن. وهو يقول: «سيساعدك هذا الشراب على النوم.»

شكرته لتقديمه الشراب ولتغيير الموضوع. وقالت بهدوء: «شكراً، لا أريد المزيد.»

«إن هذا الشراب يريح الأعصاب.»

وقفت. رفع ماكس حاجبه وسألها: «لماذا السرعة؟ هل من العدل أن أبقى وحدي لكي أنهي شرابي؟»

«أشعر بالنعاس.» قالت ذلك لتهرب منه. تمنت لو تتمالك

أعصابها ولا تشعره بإضطرابها. وتساءلت: «هل يخفي أية عاطفة وراء هذا الوجه القاسي؟»

فتح لها الباب. وما أن مرت عبره حتى أمسك كتفها بأصابعه بقوة وشعرت بألم في عظام ظهرها. كان غاضباً... قربها نحوه... شعرت بأصابعه تحرق جلدها تحت قميص النوم القطني. كان يرتدي بيجامة فضفاضة زرقاء وبلوزة قطنية بيضاء. «كاتيا،» تكلم معها بلطف: «لا تعارضيني... معارضتك لي تجعلني أكثر إصراراً. استسلمي الآن ووفري وقتك ووقتي.»

لم تفهم ماذا عنى بكلامه. ولكن شيئاً ما حرك غرائزها. لماذا يحوم حولها هكذا؟ ماذا يريد منها؟ فهي لا تثق به، ولا تحبه.

رفعت عينيها الزرقاوين وتحركت اهدابها تطرفان بجهد تحاول إخفاء دموع ترقرقت في عينيها. «لماذا تحرك فيّ الطموح؟ لسنا جميعنا من طينة واحدة. فبعض الناس...»

قال لها: «بعضهم... يولد وفي فمه ملعقة من ذهب، وبعضهم يحظى بالعظمة بسرعة وآخرون يحاولون جهدهم ولا يفلحون. كلنا نعرف رأي شكسبير في هذا. إن عملي هو خلق النجوم...»

«النجوم! النجوم؟ هل أنت مجنون؟ لست مؤهلة لأن أصبح نجمة. إنني فتاة عادية. ألم تلاحظ هذا؟» نظرت إلى قميص نومها وتذكرت منظرها في المرآة كتلميذة صغيرة.

ضحك ماكس: «عادية؟ إنك عادية مثل الديناميت العادي!» ضغط أكثر على كتفها. فشعرت بألم، ورفعت رأسها تحتج على قسوته.

«ماكس! إنك تؤلمني...» تبعثرت الكلمات واختفت أمام ابتسامته. مال فوق رأسها شعرت بثقل رأسه فوق رأسها ورقبتها.

سلب إرادتها... فأغمضت عينيها وانتقلت إلى عالم آخر. لم تعد تعي ما يجري حولها. تفجرت في داخلها أحاسيس. وعواطف جديدة لم تختبرها من قبل.

شعرت بألم في عنقها وجسدها. لقد فجّر حياتها ونثر شظاياها أمام قدميها.

نظرت كاثرين إلى ماكس. كان هادئاً وكأن شيئاً لم يحدث. وضع يديه في جيبيّ بيجامته وخرج من المطبخ. ولكنه التفت إليها وقال ببرود: «لقد حان الوقت لتكبري.»

حدقت إليه. كان وجهه أحمر بلون الجمر، ولكنه بدا هادئاً. ألم تؤثر به تلك الحادثة التي أشعلت ناراً في داخلها؟ هل يتظاهر بالبرود؟ أم هو يسعى لأن يلقنها درساً ما؟ لقد قلبت هذه القبلة حياتها... ماذا يريد منها؟ لماذا يعذبها...

مرّ صوته عبر أصوات طبول تدق في أذنيها. سمعته يقول: «فكري جيداً بما قلته لك، تذكري كلام دودي. لقد كونت فكرة خاطئة عن نفسك، كونها لك والدك وأخواتك. لن يفيدك اختفاؤك في البيت، يجب أن تتحدي نفسك... يجب أن تواجهي الواقع لكي تتعرفي إلى قدراتك. فما ينقصك شيء سوى الدافع والحماس.»

قالت وقد حاولت جاهدة لتخفي إنفعالها: «والمظهر الجيد.»

هز رأسه نافياً. «كلا، الثقة بالنفس! المظهر لا يعني

شيئاً. الثقة بالنفس هي كل شيء. هل تفهمين؟ نريدك أنا ودودي أن تؤمني في نفسك.»

تمتمت كاثرين: «دودي.»

«إن دودي تحبك، يا كاتيا.»

قالت بصوت هادىء: «نعم. وأنا أحبها، ولكن هل يخدعها حبها لي ويعميها عن رؤية الحقيقة؟»

فقال ماكس بجد: «لا... لا تكوني سخيفة. إن دودي امرأة محترفة. لا يخدعها حب. فهي تعرف تماماً ما تفعله. كما تعرف كل شيء عن مهنتها.»

كانت على وشك أن تبكي عندما صرخت به: «لا أستطيع أن أُمثل! لا أملك الحضور المسرحي، انني بشعة وباهتة!»

تحرك ماكس بعصبية. «ما هذا الذي تقولينه. إنه هراء!»

قطبت حاجبيها: «أنت؟ ماذا تريد مني؟»

«سأقول لك الآن.» كانت نبرات صوته صريحة وواضحة. «لقد قررت أن أقدمك في مسرحيتي لتمثلي دور إبنة الرجل الخادم.»

وقفت كاثرين ويداها تضغطان بشدة على جانبيها. اختفى اللون من وجهها فظهر باهتاً. وعكست عيناها الزرقاوان لونهما على جلدها، حتى بدت وكأنها جثة لا حياة فيها. «أنت لست جاداً... أنا؟ أمثل مع والدي؟ أمثل أمام محترف؟» كان صوتها مخنوقاً داخل حنجرتها.

فقال ماكس ببرود: «أنت تعرفين الدور، لقد قرأت النص عدة مرات ودرست الشخصيات بدقة. قلت للجميع أنني سأصرّح عن اسم الممثلة التي ستقوم بهذا الدور، وبعد

دراسة لشخصية الفتاة الصغيرة المرحة، لم أجد أفضل منك للقيام بهذا الدور.»

لقد تذكرت جيداً... لقد سأل الجميع عن اسم الممثلة التي ستقوم بهذا الدور، وعدهم بإعلان اسمها في الأسبوع المقبل. حدقت إلى وجهه، تحاول أن تتأكد من صدق كلامه. إنه بالفعل يعني ما يقول.

قالت كاثرين: «لا، لا، لا بد أنك مجنون...»

تابع كلامه ببرود أعصاب، وكأنه لم يسمع ما قالته. «عليك أن تحفظي بضعة أسطر، وستظهرين في المشهد الأخير من المسرحية. لتؤدي دور فتاة صُدمت عندما علمت بمقتل شقيقها. ستتكلم الفتاة في المشهد الأخير بعد وفاة والدها. سيكون حديثها مؤثراً عندما تتكلم عن الحياة والموت.»

«ولكن هذا مستحيل.» حاولت أن تفتش عن عذر لتعتذر عن المشاركة في التمثيل. «إنه دور صعب، لا تستطيع تأديته حتى الممثلة القديرة.»

أومأ برأسه: «هذا صحيح. إنه بالفعل دور صعب، ولكنك قادرة على أن تؤديه. لا تستطيع كليو، ولا حتى بعد آلاف السنين، أن تقوم بمثل هذا الدور. ولكنك أنت تستطيعين.»

نظر إلى عينيها، فشعرت بأحاسيس غريبة، شعرت وكأنه يرسل تياراً كهربائياً إلى داخل جسدها، ليشحن عقلها بطاقة، تزودها قوة شخصيته. لم تكن قادرة على تحويل نظرها عن نظره. كان يريدها أن تؤمن به وتثق بما يقوله لها.

«أنتِ بالفعل قادرة على تأدية هذا الدور، كاتيا.» قالها بلطف. «وذلك سيكون بمساعدتي.»

كانت ترتعش خائفة من نظراته. ولكنها قالت: «ولكن، ستمنعني القوانين من القيام بما تطلبه مني، فأنا لست عضواً.»

ابتسم لها وقال: «سأحل هذه المسألة وستمثلين وتصبحين ممثلة محترفة وتنضمين إلى نقابة الممثلين.»

قالت وقد انفرجت أساريرها: «لا أستطيع أن أفعل هذا!»

ابتسم ماكس. «بلى.» قالها بلطف مرة ثانية.

أحست وكأنها ستنهار أمامه. راقبها، ثم قال وهو يشعر بالرضى: «ستقومين به، ستقومين به من أجلي.»

الفصل السادس

جاء إعلان اسمها كصدمة لآل ميلفورد. لم يصدق رالف ما سمعته أذناه. كان قد قطب جبينه عندما سألها عن شعورها تجاه هذه الفكرة الجديدة. كانت حريصة جداً على أن لا تشعره باضطرابها. ابتسمت عندما تلاقت عيونهما، وأرغمت نفسها على أن تظهر أمامه هادئة ومرتاحة لهذا الدور.

حدقت كليو بشقيقتها عندما سمعت الخبر، وسألت بصوت عال: «كاثرين؟ هل قلت كاثرين؟» كانت نبرات صوتها تعبر عن تعجب واضح، ولكنه كان مبالغاً فيه.

أما دودي فصفقت، ثم ابتسمت عندما قالت: «وهكذا ستكتمل الحلقة السحرية. سيشترك جميع آل ميلفورد في عمل واحد.» كانت تتكلم بصوت طفولي. عرف الجميع بمن فيهم كاثرين، أن دودي تؤدي عرضاً أو تقوم بدور ليغير الجو المخيم على الجميع.

بعد فترة من الزمن، أدركت كاثرين غرابة ردة فعل نيكي. كان صامتاً خلال الوقت الذي كانت تتلقى فيه التهاني. إبتسم، ثم اقترب منها وقبلها. «إنك فتاة ذكية،» همس في أذنها وهو يحتضنها.

لم تكن لتتأثر بردة فعله هذه، لو لم يتعمد إسماع ماكس ما قاله لها. مع أنه كان يهمس بالقرب من أذنها. تضايقت عندما سمعت ضحكته الساخرة، نظرت إلى عيني ماكس تطلب النجدة.

في تلك اللحظة، شعرت بالتعاسة عندما سمعت ملاحظة نيكي، ولكنها تأكدت لاحقاً من سوء نيته. فهو يعتقد أنها تقيم علاقة مع ماكس ليدخلها هذا الأخير في مسرحيته.

فهم ماكس ما قاله نيكي، فقال لكاثرين لاحقاً: «إن ابن عمك هذا مثل الحية السامة.»

فقالت تعتذر له: «لقد أرادكَ أن تسمع ما همس به، وأنا آسفة. إعتقدتُ أنه يمزح معي،» وأضافت: «ولكنه كان سافلاً.»

«سافل ويثير الاشمئزاز.» قال ماكس ذلك وهو ينظر إليها ملياً: «ليذهب إلى الجحيم.»

«ولكنه عزيز على قلبي.» قالت له وقد تورد وجهها.

رفع ماكس حاجبه متعجباً. «ماذا؟ إن طيبة قلبك واعتقادك بأن كل البشر كالملائكة يجعلني أشفق عليك. إن نيكي فرد من آل ميلفورد... هو مثلهم في الأنانية، والمباهاة وعدم التفكير.»

فقالت: «شكراً جزيلاً، إنه لطف منك لتعطينا هذه الصفات.»

«لقد قلت لك إنه فرد من آل ميلفورد، وأنت لست منهم. أنت فريدة بينهم.»

أحست بقلبها يخفق بشدة. أبعدت نظرها عنه، فقد خافت أن تخدع نفسها. تذكرت حين قبلها في المطبخ. هل كانت تلك القبلة حقيقة أم خيال؟ ولكنها عادت وتذكرت الأحاسيس الغريبة التي تملكتها. تذكرت ما حل بجسدها، فهي لم تكن تشعر به قبل تلك اللحظة. لم تعرف شيئاً عن الأحاسيس

العاطفية. والآن فهي تعرف كل شيء عن روحها وجسدها. لذا فهي تشعر بالخوف.

أخذت تحضر الجلسات التي تعقد لمراجعة النصوص. لقد أصبحت إحدى شخصيات المسرحية، ولكنها لم تشارك كثيراً في الحوار وذلك لقصر دورها. كانوا ما يزالون في مرحلة قراءة الحوار. ولم يبدأوا بالجمع بين الحوار والحركة على المسرح.

كان ماكس مديراً ممتازاً. كان بارعاً في جعل شخصيات المسرحية تنتقل من موضوع إلى آخر، من دون أن يشعرهم بالملل. كانوا يناقشون المسرحية حتى أثناء فترة الإستراحة. بعد أن ينصرفوا. كانوا يتابعون المناقشة أثناء جلوسهم في المربع يشربون ويتكلمون عن المسرحية، وعن الملابس وعن الشعر. لقد سيطرت عليهم المسرحية، حتى أنهم نسوا الحديث عن المتاجر ومخازن الألبسة والأسعار إلى غيرها من الأحاديث التي كانت تدور بينهم من قبل.

كانت دودي تقوم بإعطاء دروس خصوصية لكاثرين عن المسرح وفن التمثيل. كيف تمشي، وتقف تستدير. تعجبت كاثرين عندما وجدت نفسها تعرف كل تلك الأمور.

ضحكت دودي، فقد علمت أن كاثرين قد ورثت هذه المعلومات. «لقد اكتسبت الفن منذ الصغر، يا عزيزتي كاتيا.» ثم نظرت إليها وفكرت ملياً. «مع العلم بأنك كنت طفلة رضيعة.»

ضحكت كاثرين. «ما هذه الذكرى، أحقاً ذلك؟»

«نعم، فأنا أتذكر جيداً. لقد شاهدتك بين ذراعي والدتك.

كنتُ، حينذاك جديدة في عالم المسرح. كنتُ طفلة متحمسة للمسرح. دخلت عالم السحر. وكنتِ أنتِ جزءاً منه، يا حبيبتي كاتيا.»

عانقتها كاثرين وقالت: «لقد كنتِ أنتِ السحر أيضاً، يا أعز دودي. كنت أختاً لي... وأماً صغيرة.»

تأثرت دودي بكلامها فتوردت وجنتاها.

أحضر سبي أكواباً من الحليب البارد وقدمها لهما، ثم التفت إلى دودي وقال: «اشربي، يا سيدة، إنها مثلجة فأنت لا تحبين الحليب الساخن.»

نظرت إليه دودي ببرود وقالت مازحة: «إنك ثقيل الظل.»

«كل الرجال هكذا.» قالت كاثرين. لقد كانت تفكر بماكس.

ضحكت دودي. «معك حق، يا عزيزتي كاتيا.»

طلبت كاثرين من دودي أن تساعدها في حفظ دورها وطريقة ادائه. ولكنها دهشت عندما رفضت دودي بطريقة لطيفة، ولكن حازمة بنفس الوقت.

«لا يا عزيزتي. إنه عمل ماكس.»

فتنهدت كاثرين: «آه. سيملي ماكس أوامره عليّ.»

«من؟ ماكس؟ إنه مدير ذكي ومدرب بارع. وعليكِ أن تشعري أنك جزء من الرواية. يجب أن ينبع العمل من داخلك.»

«أنا خائفة من الفشل.» اعترفت كاثرين بذلك وهي تتنهد بعمق.

نظرت إليها دودي نظرة حب وقالت: «إنك متواضعة، يا حبيبتي... وهذه صفة رائعة.»

«ولكن لا تبالغي بتواضعك.» سمعت كاثرين ماكس يتكلم. كان يقف وراءهما. لم تلتفت لتنظر إليه، ولكن

قلبها كان يخفق بشدة. لمعت عيناها وأحمرت وجنتاها.

انسحبت دودي بهدوء، بينما تقدم ماكس ونظر إلى رأس كاثرين المنحني.

«هل يمكن أن أتحدث معك؟»

سألته بصوت مبحوح. «ماذا؟»

«كنت أنتظر حضورك.»

نظرت إليه بطرف عينها وبخجل وتردد: «آه، لماذا؟ ماذا تريد؟»

«أنت جديدة في هذه المهنة، يجب أن تسألي عن الأسلوب وطريقة الأداء والحفظ. أعلم أن دودي تستطيع مساعدتك في الأمور التي تتعلق بالمظهر.»

فقاطعته: «لقد قامت بذلك وكانت رائعة. وها أنا ذا أشعر بالراحة عندما أكون على خشبة المسرح.»

هز رأسه. «جيد، جيد، ما هذه إلا البداية. أما الآن فعليك أن تفكري بتلك الفتاة التي ستؤدين دورها... من هي هذه الفتاة؟ كيف تفكر؟ وكيف تتصرف؟... يجب أن تظهري هذه الأمور أمام الجمهور. ولكن تذكري... لن تكون هناك كلمات لتساعدك... لم يضع المؤلف كلمات لهذا الدور. يجب أن تعكسي شخصية هذه الفتاة على خشبة المسرح.»

أحست بالخوف من كلامه. شحب وجهها وبدأ العرق يتصبب على جبينها «ماكس... أنا لا أستطيع! أنا لا أعرف كيف...»

«لأنك لم تفكري بها، لم تضعي نفسك مكانها لتفكري وتتصرفي مثلها. إنك تفكرين في نفسك وفي شعورك عندما تقفين أمام الجمهور. لن تقفي أنت أمامهم... هي من ستقف

على خشبة المسرح، لا أنت.» وقف ماكس ومال نحوها. كانت نظراته تحثها على الإصغاء. «ستكونين فتاة أخرى. فتاة صُدمت ودخلت عالماً صامتاً. فتاة تعرضت لمأساة فلجأت إلى الصمت لتهرب من الواقع. ستعرفين معنى كلمة التمثيل عندما تمتزج شخصيتك بشخصية تلك الفتاة... عندما تصبحين هي.»

انفجرت كلماته كانفجار ألعاب نارية في سماء مظلمة. فجأة، بدأت تفهم الأمور بسرعة. أحست وكأن المعرفة تجري في عروقها. «ماكس،» وتنفست بعمق. «لقد فهمت كلامك جيداً، فأنا لم أكن أفكر أبداً بتلك الأمور التي ذكرتها.»

لقد كانت تنظر إلى المسرح دائماً من خلال عيون عائلتها. كان المسرح إطاراً جميلاً لمواهب آل ميلفورد الذهبية. لم تسمعهم يتكلمون مثل ماكس. كانوا كلهم يظهرون أنفسهم كما هي على خشبة المسرح. يمثلون شخصياتهم الحقيقية ـ كلهم رالف وكليو وفيولا وكاس ـ كانت شهرتهم نابعة من الأدوار التي تُفرح وتجذب المشاهدين. لم تتصور أن كليو قادرة على إذابة شخصيتها في شخصية مأساوية. لم تر كليو أبداً وهي تقوم بدور ابنة فقيرة تلبس ثياباً رثة. ستظهر في هذه المسرحية بملابس باهرة متنوعة، وستؤدي عروضاً عدة، ولكن ما ستقوم به هو شخصية كليو نفسها.

أحست كاثرين بقوة غريبة، بتيار من المعرفة لم تختبره من قبل. أستطيع أن أقوم بهذا الدور. أنا أفهم... تلك الفتاة التي تعيش في عالم من الآلام والعنف. إنها تريد الهروب من

الواقع. تريد الهروب إلى حيث تشعر بالأمان، فلجأت إلى الصمت وابتعدت عن المشاركة كلياً في المشاكل التي تقودها إلى الشعور بالألم.

تحركت كاثرين في الغرفة، تفكر وتكلم نفسها، حتى أنها لم تنتبه إلى وجود ماكس بالقرب منها. وضع يديه في جيبيه ووقف يراقب حركاتها. ويبتسم إبتسامة المبتهج بالنصر.

فجأة التقى وجهها بوجهه. لم تكن هي. رأى أمامه وجهاً عابساً، وشاحباً متأثراً.

لم يتكلم ماكس معها. رفع حاجبه كعلامة إعجاب وحثها على المتابعة. «حسناً،» تكلم أخيراً. لقد كانت كاثرين صامتة تحدق إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين، وكان متأكداً من أنها كانت تنظر، ولكنها لم تكن تراه أمامها.

حركت عينيها بحركة لا إرادية، وكأنها استيقظت من نوم عميق. ضحكت وقالت له: «إنني آسفة، لقد كنت على بعد أميال من هنا.»

«في عالم آخر.» قال ماكس وهو يحدق في عينيها الحالمتين. وأبعدت هي عينيها فقد أربكتها نظراته.

كان يرتدي قميصاً أبيض رقيقاً، مفتوحاً عند الرقبة. كانت دائماً تشعر بتأثير ملامح وجهه وأنفه الغليظ وعينيه الغريبتين على أحاسيسها. لقد أدركت الآن أنها ملامح جذابة. كانت تحاول أن تقنع نفسها بغير ذلك، ولكنها الآن تملك الجرأة على الإعتراف بأنه رجل جذاب.

لقد عرفت هذه الحقيقة عندما قبلها في المطبخ. لم تعد تهتم بنيكي. سخرت من نفسها، كيف فضلت نيكي على ماكس؟ إن

نيكي شاب غير ناضج يجمع كل سيئات آل ميلفورد... إنه أناني، يحب نفسه، متباه وغير مخلص. رفضت أن تعترف بسيئات نيكي أمام ماكس، ولكن قلبها وعقلها يعترفان الآن بأن نيكي ما هو إلا علبة جميلة، ولكنها فارغة.

إبتسمت لماكس. إنها المرة الأولى التي تشعر فيها بالقوة والثقة بالنفس. كانت عيناها تشعان بالسعادة التي تشعر بها كل فتاة تقع بالحب. كانت مشرقة كشمس الصيف.

تنهد ماكس ومشى نحوها. نظرت إليه ورجعت إلى الوراء. لقد ظهرت صورة دودي أمامها.

في لحظات، نسيت دودي الكسندر والتي تعتبرها أختاً ثالثة. دودي التي فقدت زوجها وتحتاج الى الرعاية والاهتمام بمشاعرها... توقف ماكس وعبس. نظر إليها متسائلاً.

قالت كاثرين: «يجب أن أتصل بنيكي،» أرادت أن تعتذر بأي شيء لتهرب من وجهه. «لقد وعدته بأن أذهب معه في نزهة قبل أن يحل الظلام.»

غادرت المكان وماكس يلاحقها بنظرات مليئة بالشك.

إتصلت كاثرين بنيكي حيث كان يجلس في أحد النوادي مع بعض الممثلين الذين سيشتركون في المهرجان. أحست بحاجة لأن تتكلم مع أي شخص. طلب نيكي منها أن توافيه إلى النادي ليقدم لها شراباً.

فقالت له: «أشعر أنني بحاجة لأن أتمشى، إنها ليلة رائعة.»

فوافق نيكي: «حسناً. سأقابلك خارج مكان إقامتك بعد خمس عشرة دقيقة.»

استقل سيارته الصغيرة، واتجه نحو منزلها ليصل في الوقت المحدّد. وكانت هي تنتظره في الخارج. إتجه نحو الباب ليفتحه لها.

«تفضلي، أيتها الشمس المشرقة.»

ما أن تقدمت من باب السيارة حتى سمعت وقع أقدام في الممر خلفها. كان ماكس يقف خارج البيت يراقبهما. كانت تعابير وجهه غامضة.

لوح له نيكي ساخراً. لم يرد ماكس على التحية. متظاهراً بأنه لم يره.

قاد نيكي السيارة في طريق ريفي حتى وصل إلى مدخل حقل واسع. أوقف السيارة إلى جانب الطريق وابتسم لكاثرين قائلاً: «إنه مكان مناسب للتنزه سيراً على الأقدام.»

ترجلا من السيارة وسارا نحو الحقل. شاهدا أبقاراً ترعى في آخر الحقل. كانا يتمشيان فوق العشب الأخضر وكان هذا العشب قد جزّ حديثاً، فظهرت أطرافه كالشوك تحت أقدامهما... بدا وكأن أحد الأشخاص قد رسم ممراً طبيعياً للسير على الأقدام.

قالت كاثرين: «لقد قام أحد الأشخاص بعمل جيد، أنظر إلى هذا الممر الجميل المؤدي إلى الوادي.»

سارا بين بستان فاكهة على يمينهما وحقل شعير على يسارهما، حتى وصلا إلى تلة، يخترقها خط سكة حديد. فقطعا الطريق المؤدي إلى جسر حديد أوصلهما إلى ممر أخضر يترامى أمامهما حتى يصل إلى ضفة النهر.

كان الجو جميلاً وهادئاً، ولكنهما لم يتكلما عن حياتهما. ضحك نيكي عندما أخبرته كاثرين قصة عن

شجار حصل بين المزارعين من أبناء المدينة. كان كلامها يدور حول أمور عامة...

قال نيكي: «من الأفضل أن نعود.»

كان الجو جميلاً وساحراً، تهب عليهما نسمات من الهواء العليل الدافىء. ولكن كاثرين وافقت على العودة. نظرت إليه نظرة تعبر عن حب، فهو حبيبها الأول. إن سيئاته كثيرة، ولكن هذا لا يمنعه من إحتلال مركز في قلبها. فقالت: «إن المرء قادر على أن يغفر كثيراً من سيئات الناس الذين يعيش معهم.»

ضحك نيكي. «ما هذه الملاحظة الغامضة؟ ماذا تعنين بقولك هذا؟»

شاركته الضحك. «لا أعرف... ولكنني قلت ما أحس به. فالإنسان يشعر بقربه من الذين ترعرع بينهم مهما كان قدره... هذا ما أعتقده!»

نظر إليها وتأملها مفكراً. «لقد تغيرت كثيراً، يا كاتي.»

«جميع البشر يتغيرون، أنظر إلى كليو! ألم تتغير منذ أن كانت طفلة؟»

فقال بصراحة: «أوه، كليو،»

«لم تتحسن الأمور بينك وبين كليو، أليس كذلك؟ مع أنني أعتقد أن هناك كثيراً من الأمور هي مشتركة بينكما.»

نظرت إلى نيكي وهي تفكر ملياً بما قالت.

قال وهو متأكد من فكرته: «إن كليو تتوقع من كل رجل تقابله أن يركع أمامها ويحترق بنارها. لذا فهي لا تحبني ولا تتحمل وجودي لأنني لست مستعداً لأن أركع أمامها أو أتعبد جمالها.»

أومأت برأسها. «نعم، لقد لاحظت ذلك. إنها تتضايق من قلة أهتمامك بها.» ثم أضافت: «ولكن كليو تقول مثل هذا الكلام عنك.»

حدق إليها بدهشة: «ماذا تعنين؟ ماذا تقول كليو عني؟»

قالت له وهي تحاول إثارة فضوله: «تقول، إنك تعرف مدى جاذبيتك، وتنتظر أن تستلقي أمام قدمك كل فتاة تقابلها.»

احمّر وجهه واشتعلت عيناه غضباً. «أوه، إنه لطف منها لتفكر بي هكذا. وأنت؟ هل تفكرين بي في نفس الطريقة أيضاً؟ هل تعتبرينني غبياً وسخيفاً؟»

فقالت بهدوء: «إنك تثبت لي الآن أنك إنسان غبي، لأنك ستتشاجر معي في هذه الأمسية الرائعة. هيا، تعال، لنتسابق إلى السيارة.»

تناسى نيكي جرحه، وركض وراءها نحو السيارة. أسرع في العدو حتى سبقها، تاركاً وراءه السهل الأخضر الفسيح ونظرات الأبقار تلاحقهما من بعيد.

توقف عند النادي حيث دخلا ليتناولا شراباً منعشاً، ثم جلسا في الحديقة تحت شجرة صفصاف كبيرة، سمعا صوت طير أسود يغرد فوقهما. كان الصمت يسود المكان وعبير الأزهار حولهما ينعش الأنفاس. شق صوت القطار الآتي من بعيد سكون الليل. ثم تكلم نيكي، ولكن حديثه كان عاماً. أخبرها بعض الطرائف عن الزملاء في المسرحية. ثم قال فجأة: «لقد استخففت بك، أيتها الشمس المشرقة.»

نظرت إليه كاثرين بخجل. «لماذا؟»

أجابها موضحاً لها رأيه فيها. «سأنحني أمامك

احتراماً، لقدرتك على ترويض ماكس. فلقد استنكر الجميع عندما أعطاك دور الفتاة الخرساء وأنتِ التي لم تطأ قدماك خشبة المسرح في حياتك. إنك تظهرين كفتاة بريئة، ولكن عندك خبايا دفينة وراء هذه الشخصية البسيطة.»

شحبت لسماعها كلامه المهين. وبدأت تسأل نفسها، هل يفكر الجميع مثله؟ هل يظنون أنني أثّرت على ماكس بطريقة ما ليعطيني هذا الدور؟ إنهم ينظرون إليّ كفتاة مخادعة، خدعت ماكس وأوهمته بقدرتها على لعب هذا الدور الذي يتطلب موهبة.

إن هذا مؤلم حقاً. نظرت إلى نيكي. شعرت بالحزن على نفسها وبالأسف عليه. كان يبتسم أمامها، وكأنه حقق إنتصاراً. إنهما بعيدان كل البعد عن بعضهما البعض. كلٌ منهما يعيش في عالم مختلف. إنه يعتبر الخداع والغش والتخطيط طريقاً إلى النجاح، ولا يعرف شيئاً عن نفسيتها... حقاً، إنه إنسان بسيط.

أوت إلى فراشها في ساعة متأخرة تلك الليلة. ذهبت إلى المطبخ، ومن ثم إلى غرفتها دون أن تلتقي أحداً من أفراد عائلتها. كان الظلام والهدوء يخيمان على البيت، ولكن ما أن خرجت من الحمام مرتدية بيجامة للنوم، حتى وجدت ماكس يقف أمامها.

نظر إليها ببرود. «يجب أن تكوني نائمة في فراشك في مثل هذا الوقت. هناك واجبات عليك القيام بها في الصباح. لا تنسي أن تنامي باكراً من الآن وصاعداً. أريد إطاعة كاملة لأوامري، لأنك ستحتاجين إلى طاقة لتؤدي عملك. سيسلب السهر طاقتك وستشعرين بالإرهاق أثناء قيامك بواجباتك.»

نظرت إلى الأرض، وأومأت برأسها بصمت.

وقف أمامها وكأنه ينتظر أن تناقشه أو ترد عليه. ثم أفسح لها الطريق لتمر عائدة إلى غرفتها.

في صباح اليوم التالي، أخبر ماكس كاثرين برغبته على مراجعة دورها معه، ووحدها في البداية. «ستؤدين الدور أمامي هنا، لمدة يومين وبعدها تتدربين على تأديته على خشبة المسرح. ستجدين صعوبة في تذكر الخطوات وذلك لإنعدام خبرتك في التمثيل. سأدربك، وعندما أشعر أنك أصبحت جاهزة للوقوف على خشبة المسرح، أسمح لك بالإنضمام إلى بقية الشخصيات لتراجعي دورك معهم. إبقي في البيت اليوم واقرئي المسرحية وحدك، ثم دوّني ملاحظاتك بالنسبة لدورك.»

«ألا أستطيع القيام بهذا خلال المراجعة العامة للنص؟ لماذا تريدني أن أكون وحدي؟»

«لأنني أريدك أن تكوني واثقة من نفسك ومن قدراتك قبل أن تشاركي المجموعة. ستكونين محط أنظار الجميع، سيراقبونك، وقد يثيرون أعصابك. لن أعرضك لسخرية الآخرين. أريدك أن تستجمعي قدراتك... وتقوي ثقتك بنفسك قبل أن تصعدي إلى خشبة المسرح، ولو للتمرين فقط.»

إصطحب ماكس كاثرين عند المساء إلى غرفة هادئة في القسم الخلفي من البيت. كانت هذه الغرفة تعد للإستقبال في المناسبات الطارئة. فقد استقبل فيها رالف بعض الزائرين، في الوقت الذي كانت كليو تتبادل الحديث مع بعض الزملاء في غرفة الإستقبال الرئيسية. لقد رحب أبناء المنطقة بشخصيات المهرجان وأظهروا كرمهم

تجاههم. كانوا يدعونهم إلى بيوتهم ويردون الزيارة لهم في بيت ماكس. لذلك كان لا بد من وجود غرف استقبال إضافية.

أبعد ماكس الكراسي من وسط الغرفة.

«والآن،» قال لها: «دعينا نلقي نظرة على عملك...»

قرأ ماكس النص، استمعت إليه كاثرين ودونت ملاحظاته وسجلت حركاته. ستظهر صامتة وهادئة في أغلب الأحيان. لا تتحرك أو تتكلم إلا نادراً. ستمثل شخصية فتاة منغلقة على نفسها.

وأكد لها ماكس: «ولكنها ستكون على المسرح، سيراها المشاهدون، سيتساءلون عن وجودها؟»

«هل سأقف على المسرح فقط دون أن أعبر عن شيء؟»

فقال بهدوء: «سيتكلم والدها عن فكرة إرسالها إلى المستشفى، ألا تعتقدين بأنها ستقوم بردة فعل عند سماع والدها؟ لن تتكلم، لن تقول شيئاً. لم يخبرنا فلينت ما يجب أن تفعله تلك الفتاة! ولكنها قادرة على السمع، لذا يجب أن تتأثر بما تسمعه أذناها. يجب عليك أن تظهري للجمهور أن هذه الفتاة واعية لما يجري حولها...»

عندما انتقلا إلى المشهد الثاني، كشف لها ماكس حقيقة شعوره حول تفاعل شخصيات المسرحية. وأشار إلى أن ما تعرفه كاثرين في المسرحية قليل جداً، ولا تستطيع أن تقوم بدورها إن ظلت على هذه الحال. مع أنها كانت واثقة من حفظها لدورها في المسرحية، وكانت النتيجة أنها لم تكن تعرف سوى القليل القليل...

إبتسمت كاثرين عندما توقف ماكس عن القراءة ليرتاح.

«لقد كنت رائعاً. لقد بدأت أشعر بأنني قادرة على الوقوف على خشبة المسرح وتأدية دوري بسهولة.»

«لم تخدشي سوى السطح.» كان كلامه فظاً.

أرغمتها نبرات صوته الجافة على التراجع. «حسناً، إنها البداية، شكراً لك على كل حال.»

«لأنني أقوم بعملي؟» ظهرت سخرية في نبرات صوته.

نظرت إليه والشك يملأ عينيها. «ماكس...»

«نعم؟» كان يقف عند الباب ويهم بفتحه. نظر إليها دون أن يبتسم.

«ما القضية؟» حافظ على برودة كلامه.

ازدردت ريقها قبل أن تتكلم. «أنت تظهر... سيىء الطبع.»

«هل أنا هكذا؟» فتح الباب ومشى من دون أن يضيف كلمة أخرى.

لم يظهر ماكس تلك الليلة. لقد اختفى وكليو. ربما ذهبا لحضور حفلة في المنطقة. لقد كانت كليو تتلقى دعوات كثيرة من شبان المنطقة. ولكنها لم تكن تلبي كل الدعوات خوفاً من تعود الناس على رؤيتها وهذا يفقدها سحرها.

إزدادت ثقة كاثرين بنفسها مع تكرار البروفات. كان ماكس يشجعها ويمدحها من حين إلى آخر. كانت تتصرف وكأنها تلك الفتاة. حتى أنها كانت ترى نفسها في أحلامها بشخصية تلك الفتاة، كانت تشعر بآلامها وأحزانها حتى أنها كانت تستيقظ مرتين أو أكثر في الليل وتجد جبينها مندى بالعرق، والدموع تسيل على خديها.

وأخيراً أخبرها ماكس. «أعتقد أنك أصبحت جاهزة الآن للإنضمام إلى بقية الشخصيات.»

كانت الأفكار تتلاطم في رأسها. لماذا أراد ماكس إبعادها عن الجميع طيلة هذه المدة. حتى والدها لم يحضر أية مراجعة أو بروفة. أما كليو، فقد كاد يقتلها فضولها. كانت تتحين الفرص لتسخر من كاثرين أو تعلق على موقف.

«الآن عرفت سر وجودك مع ماكس وحدكما! إنه غزل هادىء!»

كانت دودي تجلس معهما أثناء تناولهما الفطور وتستمع إليهما.

أجابتها كاثرين: «لا تكوني سخيفة!»

فضحكت كليو كالقطة الخبيثة: «إذن، لماذا احمرت وجنتاك؟»

«لم يتغيّر لوني!»

«إنك بلون الشمندر الأحمر، أليس هذا صحيحاً، يا دودي؟»

إبتسمت وهي تنظر إلى دودي. لقد عرفت كاثرين مؤخراً أن كليو لا تحب دودي. هل لاحظت دودي ذلك؟ هل أساءت إليها كليو؟ كانت هذه الأسئلة تشغل تفكير كاثرين.

نظرت دودي إلى كليو بهدوء. رفعت حاجبها وقالت: «لا تغيظي كاتيا.»

«لا، بالطبع، إنها كاملة، أليس كذلك؟» نظرت كليو إليهما ساخرة ووقفت، ثم مشت نحو الباب وتركت كاثرين مأخوذة ومشدوهة بما جرى أمامها.

سألت كاثرين دودي: «ما بها؟ إنها تتصرف بجنون في المدة الأخيرة.»

فقالت دودي: «إنها ليست سعيدة، مسكينة كليو.»

www.elromancia.com

فتساءلت كاثرين: «ولكن لماذا؟ لماذا هي حزينة؟ إنها أجمل أفراد أسرة ميلفورد وأكثرهم جاذبية. فما الذي يجعلها تعيسة هكذا؟»

في مساء اليوم التالي، أقام محافظ بلدة «كانت ويتش» حفلة كبيرة. وقد توافد الصحافيون من لندن إلى هذه البلدة الصغيرة.

«سوف ينفد الشراب في البلدة خلال أربع وعشرين ساعة،» قال رالف مازحاً.

لم ترغب كاثرين في حضور الحفلة. وكان ماكس قد حذرها من اهتمام الصحافة بها. «ماالذي تتوقعينه؟ لقد هربتِ من شبكة آل ميلفورد. ثم عدت لتقعي فيها مرة أخرى. وغداً، سيُطلق سراحك في ميدان الوحوش اتي تحاول التهامك دون شفقة أو رحمة.» كان ماكس يحذرها لكي لا تصدم بالواقع.

سمعت دودي كلام ماكس، فتجهم وجهها. وقالت: «ماكس! إنك تُرعب الطفلة! إنه يمازحك، يا عزيزتي! أرجوك، يا ماكس، قل لها بأن الأمر لن يكون سيئاً إلى هذا الحد.»

سألتها لاحقاً: «ما الخطب بينك وبين ماكس، يا حبيبتي.»

ضحكت كاثرين بهدوء. «لا شيء، يا دودي. إنه يحاول أن يسيطر علي فقط.» لقد أصبحت ممثلة واعية، قالت ذلك لنفسها وهي تأوي إلى فراشها تلك الليلة. لم تتعود أن تكذب على دودي. وها هي ذي الآن تتصرف كسائر الممثلين.

كانت في طريق عودتها إلى البيت في المساء بعد انتهاء البروفة. التقت بشخص تعرفه. كان يتناول العشاء على

ضفة النهر بالقرب من المسرح. لم تفاجأ برؤيته عندما حياها قائلاً: «هاي، سندريللا!»

«رودي سامنر! كنت أعرف أنك ستأتي.» لم تكن مسرورة لرؤيته. إنه الصحافي الوحيد الذي كان يعرفها في الماضي. لقد كان لطيفاً معها، في الوقت الذي لم تكن لتنفعه في عمله. فالصحافي لا يهتم عادة إلا بمصادر الأخبار التي يحتاجها في مهنته. فهو يحب إصطياد أخطاء الناجحين، وكأنه يريد أن يحطم نجاحهم.

نظر إليها مبدياً اهتمامه بها. «لقد تغيرت كثيراً منذ لقائنا الأخير.»

كانت ترتدي سروالها البني مع السترة الجديدة. وقد سرحت شعرها بطريقة أظهرت نعومة ملامح وجهها. إبتسمت وقالت: «نحو الأفضل، أرجو أن يكون هذا رأيك.»

فقال باسماً: «سندريللا؟ إنك تبدين كفتاة أخرى. لقد كنت أقول لك دائماً إنك تحتاجين إلى شيء خاص. ألم أقل لك ذلك؟»

فذكرته بكلماته: «وكذلك قلت لي إنني مميزة لأنني لست كبقية أفراد عائلتي.»

فأومأ برأسه: «وأنتِ أسأت فهمي. كنت أحاول إفهامك أن الجمال وحده ليس كافياً. فمعظم الرجال يفضلون فتاة مثلك... دافئة المشاعر، حساسة الملامح وجميلة الإبتسامة. عندما تبتسمين للشخص تشعرينه بالأمان. ألا تعرفين مدى تأثير إبتسامتك، يا سندريللا؟»

«لماذا تدعوني بهذا الاسم؟» كان سؤالها يجمع بين الغضب والسرور في آن واحد.

فقال لها: «إنه يناسبك، أراهن أن جميع الصحافيين سيدعونك بهذا الاسم. ستكون قصتك هي الخبر الأهم. قصة الفتاة العاطفية المنغلقة على نفسها والتي أختيرت لتقوم بدور رئيسي.»

فقالت بصراحة: «لن أؤدي سوى دور واحد في المشهد الأخير، على كل حال، فالعمل ليس جديداً عليّ، لأنني أنحدر من سلالة ممثلين.»

«وخاصة الآنسة التي تعتبر رمزاً للإثارة!» تمتم رودي عندما مرت كليو بقربها.

توقفت كليو وحدقت إلى رودي الذي انحنى لتحيتها. «لا نريدك أن تبتعدي عن المواضيع الهامة، أيتها الأميرة.»

نظرت كليو إليه، كانت عيناها تشتعلان غضباً. «لا، لن أبتعد! هل ستأتين معي، يا كاثرين؟ هناك ذئب من الممكن أن يأكلك لو بقيت وحدك هنا.»

«كررررر!» زمجر رودي وكشر عن أنيابه.

رفعت رأسها بكبرياء، متجاهلة إياه وهي تقول لكاثرين: «هيا، تعالي...»

«هل تسمحين لي بمرافقتك إلى حفلة المحافظ هذه الليلة، يا سندريللا؟» سألها رودي ثم أضاف مازحاً: «أعدك بأنني لن آكلك كما قالت الجدة.»

أجابت كليو بسرعة: «آه، عفواً، سنذهب جميعنا مع والدي.»

فنظر إليها متأملاً: «إنك تحاولين إنقاذ شقيقتك الصغرى؟ وعلى من ستتسلط الأضواء؟ ليس على سندريللا بالطبع. فأنا أعرف آل ميلفورد الرائعين، ولكن

ستكون لديها فرصة لتنافسكم عندما تتابط ذراع بوتشر بروان والبالهام وتدور معهما أمام الجمهور.»

حدقت به كليو وقالت ساخرة: «وطبعاً، لن يكون إصطحابك لها وسيلة لتنفيذ مآربك والحصول على مواضيع جديدة عن هذه الطفلة البريئة.»

ضحك رودي. «إن سندريللا فتاة ناضجة الآن. وهي قادرة على أن تحكم على دوافعي.»

كانت كاثرين تنظر إليهما بحيرة. فهي لا تعرف دوافعه. ولكنها تتذكر أنه الوحيد الذي كان يجاملها بينما تجاهلها الآخرون. لقد كان يفتش عنها ليتكلم معها، ليضحكها ويشعرها بالفرح. إبتسمت له وقالت: «لا مانع عندي، سأذهب معك إلى حفلة المحافظ. إن والدي هو ضيف الشرف، لا أنا.»

غضبت كليو. «حسناً، انتظري غضب ماكس عندما يسمع قولك هذا! سيصبح شديد الاهتياج.»

«ليغضب،» قالت لها كاثرين بعناد. لماذا يخيفها ماكس نيلسون؟ لماذا تهتم لردة فعله؟ فقد كان يعاملها بقساوة في الأيام الماضية.

عندما عادت إلى البيت دخلت المطبخ لتتحدث إلى سبي. كان يحب أن يعرف ما يجري معها خلال البروفات. كانت تتشوق لإخباره بأحداث كل يوم بيومه. كانت تقص عليه أخبارها عندما فُتح الباب فجأة.

إلتفتت لتجد ماكس واقفاً والغضب ظاهر على ملامحه. «هل حقاً ما تقوله كليو؟ هل وعدت رودي سامنر بالذهاب معه إلى الحفلة اليوم؟»

لقد كانت كليو محقة عندما قالت بأن ماكس سيصبح كالكلب المسعور عندما يعرف هذا الخبر. كانت كلماته باردة كالثلج، ولكنها تعبر عن غضب واهتياج. شعرت بألم في معدتها، فقد تشنجت أعصابها ولم تعد قادرة على الكلام.

الفصل السابع

استخفت كاثرين بمعارضتهم. رفعت ذقنها، ثم قالت بجرأة: «لِمَ لا أرافق رودي إلى الحفلة؟»

إنسحب سبي من الغرفة بهدوء، وترك ماكس ينظر إلى كاثرين مذهولاً.

«يبدو أنك نسيت أن رودي سامنر معلق إجتماعي، يصطاد أخبار الناس لينشرها في صحيفته. لماذا اهتم بك فجأة؟ حقاً، إنك فتاة جاهلة صغيرة.»

فأجابت: «إن رودي يبدي أهتمامه بي دائماً. وهو الصحافي الوحيد الذي أعرفه جيداً.»

ضحك ماكس بصوت أجش. «يا له من نكي. لقد عرف كيف يرمي الصنارة بحيث يصطاد عدة أشياء في ضربة واحدة، أليس هذا صحيحاً؟»

«لا تكن نمّاماً هكذا؟»

لمعت عيناه الكئيبتان عندما نظر إليها قائلاً: «هل تعتقدين أنه يهتم بك لشخصك فقط؟ أنت أحد أفراد أسرة ميلفورد. إنك مصدر معلومات عن هذه العائلة. يحتاجك رودي لصطياد الأخبار، وكذلك يحتاج الأقارب، والخدم، وأي شخص له علاقة بهم...»

فسألته بتهكم: «وفي أي فئة منهم أنا؟ أو في الثلاثة معاً؟ لقد عملت كخادمة بالإضافة إلى كوني واحدة من العائلة أو قريبة لهم.»

www.elromancia.com

تجهم وجه ماكس. «لا تتكلمي هكذا!»

«لقد تهجمت عليّ أولاً!»

«لم أقل شيئاً من هذا القبيل! أنت تعرفين أنني لا أقصد...»

فضحكت. «مهما عنيت، لا يهم... لم يهتم بي أحد، كان الجميع يعاملونني ببرود، كنت فتاة صغيرة تقوم بأعمال المنزل. لا يؤبه لها في الحفلات. ولا يعرفها أحد عندما تمر في الطرقات. والآن عرفت الفرق بين الأصدقاء الحقيقيين وبين الذين يسعون وراء المصلحة. كان هم الجميع التعرف على شقيقاتي الجميلات والمشهورات. لم أثق بأحد سوى سبي ودودي. فهما الوحيدان اللذان لم يتأثرا بالنجاح والفشل.»

تكلم ماكس بهدوء: «ورودي سامنر؟ أية منزلة يحتل في كتابك. يا عزيزتي كاتيا؟»

فقالت معترفة: «إن رودي يحيرني قليلاً. لم أعرف لماذا كان يلاطفني دائماً، كان يتعمد أن يبحث عني ليجاملني، ولم أشعر به يحاول التقاط أخبار عائلتي عن طريقي. ولكنني لم أتأكد من السبب الحقيقي لإبداء لطفه تجاهي. وهذا ما زاد من حيرتي تجاهه.»

فقاطعها: «وقد عرفت بواسطة حاستك السادسة أنه محتال عالمي يسعى لاصطياد الأخبار لمصلحة الآخرين إنه يتغذى من شهرة الآخرين، إن وراء مسايرته لك دافعاً خفياً.»

رفعت كتفيها. «ربما، أنا لست متأكدة، ولكنني لن أتأكد لو تجنبته. ولهذا وافقت عندما طلب مني أن أرافقه إلى الحفلة.»

«أنت تريدين الذهاب معه، إذن؟» نظر إليها ملياً وتابع متهكماً: «وكيف سيشعر ابن العم الحبيب نيكي تجاه هذا الأمر؟»

توردت وجنتا كاثرين. «نيكي؟» نسيت كلامها مع ماكس عن حبها لنيكي.

لوى فمه وقال: «لا تقولي أنك قد نسيته؟ ألا نستطيع أن نثق بالنساء؟ حتى أفضل النساء؟» كان صوته قاسياً ينم عن غضب. «أستطيع أن أقسم أنك...» قطع كلامه.

«لم يطلب نيكي مني أن أرافقه إلى الحفلة.» أشارت إلى هذا وقد ظهر وجهها شاحباً عند سماعها كلام ماكس القاسي. «في الحقيقة، نيكي... نحن... هو يخرج مع فتيات غيري، أنت تعرف... ليست هناك خطوبة أو أي إتفاق بيننا.»

فقال متهكماً: «هكذا إذن، مثلما يتصرف ذكر الأوز الأبله تتصرف الأنثى؟ وأنت تردّين على عمله بعمل مثله؟ أنت تؤكدين لنيكي أنك قادرة على الخروج مع الرجال كما هو قادر على الخروج مع الفتيات.» نظر إليها نظرات اشمئزاز باردة. «حقاً إنك أنثى، لقد تعلمت الخِداع بسرعة؟»

فصرخت بغضب: «آه، إنك لست عادلاً، إنك تحاول دائماً دفعي الى الكلام ثم تحكم عليّ كما يروق لك. إن حكمك غير عادل، لماذا تبني أحكاماً سيئة على أقوالي وأعمالي؟»

مط ماكس شفته السفلى بحركة تظهر سخرية وتهكماً عندما قال: «لماذا، حقاً؟ ليس من شأني الاهتمام بحياتك... لقد اعتقدت أنك أذكى بكثير مما يبدو عليك. هيا، ضيعي نفسك بين هذين الأبلهين. لقد كنت مخطئاً. فما أنت سوى

أنثى يبهرها لمعان أي شيء حتى ولو كان نحاساً وليس ذهباً. ألم تلاحظي أن رودي ونيكي هما من المعدن الأول؟»

نظرت إليه وقد صُدمت بحقيقة ما قاله لها. حقاً، إن رودي ونيكي متشابهان في أمور كثيرة. إنهما جميلان وجذابان ووسيمان وبارعان في معاملة النساء.

حاولت جاهدة أن تبتسم. «ربما وجدتهما جذابين!»

حدق ماكس إلى وجهها. «هذا ممكن! ولكنه يظهر ذوقك.»

رفعت كاثرين كتفيها وقالت: «لكل امرىء أفكار عن الحياة تختلف عن أفكار غيره.»

فتح ماكس فمه، ثم أغلقه وكأنه يتثاءب، ولكن بفعل الغضب وليس النعاس. وقال بحزم بعد فترة من الصمت: «حسناً، سنبتعد عن أية اعتبارات أخرى، لا يجدر بك القيام بترتيبات خاصة بك. كيف تقبلين دعوة شخص بعيد عن العائلة؟ يجب أن تكوني معهم لتدخلوا المسرح جميعاً... لقد تضايقت كليو من تصرفك...»

«لقد تضايقت كليو عندما طلب رودي مني أن أرافقه بدلاً منها. كان كلامها بسيطاً وصريحاً. هكذا هي كليو، تغضب عندما يبدي أي رجل اهتماماً بفتاة غيرها... أنت تعرف كليو جيداً. فهي لا تريد رودي. ولكنها شعرت بالإهانة عندما تجاهلها... لقد جرح كبرياءها.»

فقال ماكس: «وكذلك والدك، إنه يريدكم أن تكونوا جميعاً إلى جانبه عندما تدخلون الحفلة.»

قالت ببساطة: «أنا آسفة.»

«إنك تريدين سرقة الأضواء! تريدين أن تُسلط الأنظار

عليك وحدك!» قطع حديثه وابتسم. «لم أتصور أنك ستظهرين خصال آل ميلفورد. اعتقدتك قادرة على السيطرة على النجاح ومنعه من السيطرة عليك.»

شعرت بثقل قدميها على الأرض. احمرت وجنتاها ولمعت عيناها بفعل الغضب المشتعل داخلها. قالت وهي تدافع عن كرامتها: «لست مستعدة للوقوف أمامك وسماع شتائمك. لم أفعل ما يستحق كل هذا! كل ما في الأمر أنني قبلت دعوة ما. لم يسيطر النجاح عليّ، أستطيع أن أؤكد لك هذا. شكراً للسماء، فنحن لم نصل لليلة الأولى بعد. من المحتمل أن تكون ليلة الفشل الكبير. كم كنت حمقاء عندما رضيت بهذه المسرحية. فقد سمحت لك بقول ما تشاء وإملاء أوامرك عليّ. حسناً، أنت مخطىء! لن أسمح باستمرار هذه المهزلة السخيفة، وسأتخلى عن دوري. الذي ما هو إلا دور بسيط تستطيع أية فتاة من المتمرنات القيام به. لن أزج نفسي في مخاطر لا أريدها. لذا أتمنى أن يسعدك هذا القرار!» ثم استدارت لتخرج من الغرفة وأغلقت الباب وراءها بقوة.

ركضت إلى الطابق العلوي وهي تلهث من شدة الغضب. خرجت دودي من غرفتها. كانت ترتدي عباءة مزينة بشريط أسود، تظهر تحتها قبة قميص نوم حريري يعكس لونه على وجهها. قالت: «ماذا هناك، أيتها الملاك؟»

لم تجرؤ كاثرين على التوقف خوفاً من أن ترى دودي عينيها المليئتين بالدموع، فهمهمت: «أنا آسفة.» وركضت إلى غرفتها تاركة دودي خلفها.

دفعت المزلاج ووقفت مستندة بظهرها إلى الباب

للحظات وهي تتنهد. ثم انفجرت بالبكاء... رمت نفسها على السرير ودفنت رأسها في الوسائد.

بعد برهة من الوقت، وبعد أن هدأ بكاؤها قليلاً. سمعت طرقات ناعمة على الباب. «إفتحي، يا عزيزتي كاتيا.»

فقالت: «إنني بخير، يا دودي، لا تشغلي بالك...»

فقالت دودي: «لقد شغلتِ بالي، أرجوك دعيني أدخل، أريد أن أتكلم معك.»

جلست كاثرين على سريرها وأخذت تمسح وجهها بيديها كطفلة صغيرة. تنفست بعمق ثم اتجهت نحو الباب.

كانت دودي تقف متلهفة لرؤية كاثرين والاطمئنان عليها. نظرت بحنان إلى وجهها وقالت: «أوه، يا لهذا الوجه الصغير المسكين.» تنفست بعمق. «إجلسي، يا عزيزتي، واخبريني.»

أطاعت كاثرين أوامرها من دون أية محاولة رفض. ثم قدمت دودي لها زجاجة عطر وبعض كرات من القطن. بللت قطعة من القطن بالعطر ومسحت وجه كاثرين وجبهتها. شعرت كاثرين بالبرودة والانعاش. «ما الذي كدّرك هكذا؟»

تمتمت دودي: «لقد تورم جفناك وأحمرت عيناك. يجب أن تضعي كمادات على هاتين العينين المسكينتين لمدة ساعة على الأقل قبل بدء الحفلة.»

فقالت كاثرين: «لن أذهب إلى الحفلة.»

فأصرت دودي: «بالطبع ستذهبين.»

وبدأت كاثرين: «أنت لا تعرفين...»

فقاطعتها دودي: «لقد تكلمت مع ماكس، أنا أعرف كل شي. لقد أساء ماكس التصرف فأغضبك، ولكن لدى ماكس

أحاسيس أيضاً، ألا تعرفين ما هي... أحاسيس الحب! إنه يخفيها وراء طباعه الباردة. ولكن صدقيني، إن ماكس إنسان عاطفي كأي فنان مبدع.»

دهشت كاثرين لوصف ماكس بالفنان العاطفي المبدع، حدقّت إلى دودي بفم مفتوح بدهشة.

ضحكت دودي. «لا تحدقي إليّ هكذا! إنه مثل باقي البشر، يجري الدم في عروقه وليس البترول. إنه ليس آلة كما تظنين، إنه إنسان من لحم ودم. يجب أن تحكمي على الأمور من خلال وجهة نظر الآخرين بالإضافة إلى وجهة نظرك. لقد عمل ماكس جيداً حتى وصل بك إلى هنا. لقد درّبك، يا عزيزتي، دون أن يُشعرك بأنه قد تعب أو ملّ من رفقتك. ألا تستطعين إيجاد عذر له عندما يغضب؟»

قالت كاثرين بهدوء: «أعتقد أنني أستطيع، أوه، دودي، أشعر بالضياع. لقد انسحبت من المسرحية. لم يقل لك؟»

ضحكت دودي ثم قبلتها على جبهتها. «لقد قال لي أنك قد هددت بالإستقالة. ولكنه لم يصدق... أنت لن تكوني بهذه القسوة لتضيعي كل الجهود التي بذلها معك! لا، لا، لن تستقيلي.»

«وهذه الليلة؟ والحفلة؟» نظرت إليها كاثرين، ثم احنت رأسها.

قالت دودي بحزم: «سوف تذهبين معنا، إن والدك سيغضب إن لم تذهبي معنا. يستطيع رودي سامنر أن يرافقنا إلى الحفلة. هذا هو الحل الأفضل للجميع.»

تنهدت كاثرين. «حسناً، كما تريدين، يا دودي.»

نظرت دودي إلى كاثرين بعينين مفعمتين بالحنان. «مسكين ماكس!»

عبست كاثرين وتعجبت من كلام دودي الذي يحمل معانٍ غامضة.

أضافت دودي: «كاتيا، ستكونين لطيفة مع ماكس، أليس كذلك؟»

أرادت كاثرين أن ترتدي ثوب السهرة المقلم بالأسود والأبيض. أصرت دودي على مساعدتها في ارتداء ملابسها وتصفيف شعرها وتزيين وجهها بما يناسب السهرة. حركت أصابعها الرقيقة على وجه كاثرين وأجرت عليه لمسات سحرية. ساعدتها على ذلك علب الزينة. حتى أن كاثرين لم تصدق ما طرأ على وجهها من تغيير عندما نظرت إلى نفسها في المرآة.

أعجبها ثوبها مع أنه كان يبدو بسيطاً من الأمام، ولكنه عاري الظهر. كانت ترتعش عندما نزلت مع دودي لتلاقي الآخرين.

كان رالف مميزاً بأناقته كالعادة. استدار لينظر إليهما. فظهرت لحيته الذهبية وقد انتصبت شعيراتها بخشونة لتظهر غروره.

«يا للفتاتين الحبيبتين.» قال ذلك وهو يتجه نحوهما ليقبلهما. «إنكما تبدوان رائعتين.»

حدّق سبي إلى دودي، ثم إلى كاثرين. ضاقت عيناه الحزينتان عندما قال هامساً: «أنظروا إليهما... أم وابنتها، أليس كذلك؟»

حدق رالف إليهما. «إنهما كذلك! لم ألاحظ هذا الأمر الغريب قبل اليوم. دودي... إنه القدر!»

ضحكت دودي وتوردت وجنتاها. «رالف، لا تكن سخيفاً، لا أشبه كاثرين بشيء.»

كانت كليو تقف مع ماكس بالقرب من النافذة، تراقب المشهد بنظرات عدوانية. قالت لماكس معلقة: «يا للمشهد المؤثر، أليس كذلك؟»

نظرت كاثرين بهدوء نحو ماكس الذي كان يراقبها وحركة فمه تدل على سخرية. تحركت رموشها بعصبية وشحب لون وجهها.

وسأل رالف: «هل الجميع جاهزون؟»

قالت دودي: «إننا بانتظار صديق كاتيا.»

إتسعت عينا رالف. «صديق؟ من هو؟»

قالت كليو ساخرة: «رودي سامنر.»

«هذا المعلق الاجتماعي؟ يا إلهي، هل تعرفين ما تفعلين، يا كاثرين؟»

نظرت إليه وهي تشعر بارتباك. «أعتقد، يا أبي.»

رفع رالف كتفيه العريضتين فظهر أكثر جاذبية، كالفايكنغ من العصور الوسطى، ورأسه الذهبي يلمع تحت أشعة شمس الغروب التي تنساب من النافذة. «أتمنى هذا، أعرف أن أي نوع من الدعاية هي دعاية جيدة، ولكنني لست متأكداً. إن رودي سامنر ليس بالشخص الرديء، ولكن من الممكن أن تكون لديه دوافع غير ظاهرة، أليس هذا ممكناً؟»

قالت بتعاسة: «إنه يعجبني يا أبي.»

«همم م م...» نظر رالف إلى دودي، ورفع حاجبيه متسائلاً بصمت. إبتسمت دودي وهزت رأسها مؤكدة له الأمر، رفع كتفه وقال: «حسناً، من الأفضل أن أتركك لتتعلمي من أخطائك. أنا أعترف بأنك لم تقترفي أخطاء فادحة حتى اليوم.» نظر إلى كليو. «لقد اقترفت شقيقاتك

أخطاء كثيرة في الماضي، لذا علينا أن ننتظر النتيجة، أليس كذلك، يا كليو؟»

لم تكن كليو مسرورة. أمسكت ذراع ماكس. وهي تقول بكبرياء: «سننتظركم في السيارة.»

حين مرا بالقرب من كاثرين. رمقتها كليو بنظرات متكبرة، ولكن عيني ماكس تعلقتا بعينيها. حاولت أن تعكس له اعتذارها ورغبتها، ولكنه أشاح بنظره عنها. ذهب وتركها ترتعش بتعاسة.

وصل رودي بعد بضع لحظات. كان جذاباً يلفت الأنظار بأناقته. كان يرتدي قميصاً أبيض وسترة سوداء. ويضع قرنفلة حمراء في عروة سترته. انحنى أمام دودي وقدم لها القرنفلة ليعبر لها عن اعجابه بها، ثم قدّم إلى كاثرين باقة صغيرة من الأزهار الانكليزية التقليدية، ملفوفة بربطة فضية تعطيها الطابع الفيكتوري. علقت كاثرين على الأزهار: «كم هي جميلة! «وليم» الجميلة، زهرة «لا تنسني» الوردية إنها أنواع رائعة، شكراً لك، يا رودي!»

تأملتهم دودي وقد نفد صبرها. صافح رالف رودي وابتسم له قائلاً: «كيف حالك؟ بخير؟ هذا جيد. أتمنى أن تعجبك الحفلة. ستكون هناك مجموعة من الناس الطيبين والمضيافين.»

ذهبوا لملاقاة ماكس وكليو في الخارج. كان رودي يقود سيارته السبور البيضاء المكشوفة الغطاء. ركبت كاثرين معه ومرّ ماكس بسيارته ليجتازهما ويسير أمام رودي الذي تأمله قائلاً. «لم أستطع معرفة نوايا نيلسون، هل هو يواعد كليو أم دودي الكسندر؟» ولم تجبه كاثرين.

نظر إليها وضحك. «ما القضية؟ هل تخطيت حدودي؟ أنا آسف. سأتحاشى الأسئلة في المستقبل. أعدك بهذا. أقسم بشرفي هذه المرة. كان سؤالاً فضولياً، ولكنني لم أتعمد أن أتصيد أي خبر لأنشره في صحيفتي.»

فقالت بهدوء: «ولكني لو أجبتك عنك سؤالك، لكنت استعملت إجابتي في مقالاتك، ويكون لك صيداً رائعاً.»

تأوه رودي. «هذا صحيح، يا عزيزتي. أنا آسف، فوجودي معك سيسبب احراجاً لك. لقد أحسست بشيء غامض، هل من الممكن أن نسميه «جموداً» حولنا؟ لقد نظر إلي نيلسون كمن ينظر إلى ورقة وجدها في خسة. أما شقيقتك فمن الظاهر أنها لم ترني. هل وصلت إلى نتيجة ما؟... هل تضايق الجميع عندما عرفوا أنني سأرافقك إلى الحفلة؟»

نظرت إليه كاثرين وابتسمت. «هل تريدني أن أرسم لك رسماً بيانياً لكل هذه الأمور، يا رودي؟»

تأوه مرة أخرى وقال بنبرات مرحة: «لم يتصور آل ميلفورد الرائعون وجود صحافي بينهم في لحظة دخولهم المسرح؟»

فقالت برقة: «لم أعن هذا أبداً بكلامي، ولكنك معلق إجتماعي، والبعض يعتقد أن لديك دافعاً خفياً وراء أي عمل تقوم به.»

نظر إليها وفكر ملياً. «نعم، آه، هكذا إذن. وماذ تعتقدين أنت، أيتها السندريللا؟»

اتسعت عيناها الزرقاوان عندما نظرت إليه، وقالت بصراحة: «لقد كنت دائماً لطيفاً معي، يا رودي، ولكنني لست بسيطة إلى حد أغفل به عن نواياك الخفية.»

أسود وجه رودي الجذاب بفعل الغضب. «يا إلهي، هل تعتقدين أنني شخص جدير بالإزدراء؟ أتشكين في صدق شعوري تجاه فتاة مثلك؟ إنك تعجبينني، يا سندريللا. إنني صادق في ما أقول. إن عائلتك هي بمثابة ينبوع أخبار لعملي. ومهنتي تتطلب مرافقتهم. وأنت الآن خبر جديد وعليّ الاهتمام بك. ولكن، عندي مبادىء. فأخلاقي لا تسمح لي بإقامة علاقات شخصية، وخاصة، لأبني عليها قصة. عندما أريد معرفة شيء، أسألك عنه. وأنت تستطيعين الإجابة بنعم أو لا. كوني مطمئنة، يا سندريللا، فأنا لن أستغل علاقتي بك.. أعدك بهذا.»

نظرت إلى ملامح وجهه الحادة. لقد صدقت قوله. «حسناً يا رودي. إنه اتفاق بيننا.»

نظر إليها وقد شعر بارتياح. «عظيم، والآن لندخلَ إلى صلب الموضوع. جميل أن يُصارح المرء. فأختك مثلاً تعتبرني أقل من الغبار الذي تمر عليه عجلات عربتها.»

قالت كاثرين بلطف: «إنها ليست مغرمة بك.»

ضحك رودي وقال: «شعور متبادل.»

قاد سيارته بسرعة جنونية عبر الممرات الملتفة. حتى وصلا إلى مكان الاحتفال. استطاعت أخيراً أن تلتقط أنفاسها التي حبستها بسبب خوفها من طريقة قيادته للسيارة.

تنهدت وقالت: «لحسن حظنا أننا وصلنا. هل تقود السيارة بهذه الطريقة دائماً؟»

«وهل هناك طريقة أخرى؟» أوقف رودي السيارة في المكان الذي أشار إليه حارس المرآب، ثم قدم للحارس بطاقة عضوية الصحافة، ثم اتجها نحو المبنى.

كان هناك حشد من الناس مجتمعين خارج المبنى. لفت نظرهم دخول كاثرين بمعية رودي وأخذوا يتساءلون. «من هذه؟ لا أعرف... هل هي ممثلة جديدة أم صديقته؟ إنه رائع، إنه كنجم سينمائي...» وصلت همساتهم إلى مسامعهما، فابتسم رودي إبتسامة عريضة.

ضحكت له كاثرين. «هل تبدو حقاً كنجم سينمائي؟ هل فكرت بالتمثيل؟»

فقال: «عندي اهتمامات أخرى، حلمت بأن أكون محرر صفحة الجرائم، ألاحق المجرمين وأتحرى عنهم قبل أن يقبض عليهم السكوتلانديارد. ولكن قلمي تعوّد على كتابة التعليقات الإجتماعية ولم يجد غير هذه الصفحة ليملأها بالثرثرة عن أخبار المجتمع والناس.» ابتسم إبتسامة ساخرة. «يا لهذه الحياة المضحكة. لم أتصور في حياتي أنني سأنتهي إلى هذه المهنة.»

فسألته: «ألم يعد يسمح لكَ الوقت بالتغيير؟»

نظر إليها بدهشة: «لا أعرف. لقد تخليت عن أحلامي القديمة منذ زمن، اعتقد أنه في امكاني أن أبدّل شيئاً ما في حياتي ولكن، أشك في قدرتي على تحرير صفحة الجرائم. يحتاج المرء لسنوات من التدريب والخبرة للقيام بهذا العمل.»

فسألته: «ألا توجد مهنة أخرى تحب أن تعمل بها؟»

هز رودي رأسه نافياً. «هناك حلم آخر كنت قد تخليت عنه أيضاً وهو تأليف الكتب.»

فقالت بلطف: «تستطيع أن تحلم مجدداً.»

توقفا قليلاً عند منتصف المبنى في انتظار وصول بقية

أفراد العائلة. نظر رودي إليها، فأحست بجاذبية ملامحه: «يا إلهي، سندريللا، إنك حقاً فتاة جميلة، هل تعرفين؟ أحبك بجنون...»

لقد قال كلماته بصوت عال سمعته كليو لحظة دخولها مع ماكس.

إرتبكت كاثرين وحاولت الإبتسام عندما تلاقت عيناها مع عيني ماكس الباردتين. كان يحدق إليها بنظرات تعبر عن عداء.

سألت كليو بسخرية: «ما هذا؟ لحظة إعتراف؟»

إرتبك رودي، فهو لم يكن ليتصور أن حديثه قد وصل إلى مسامع الآخرين.

تنهدت كاثرين بارتياح لدى رؤيتها رالف ودودي وحشداً من الصحافيين عند المدخل. «إنهم هنا!»

استدارت الرؤوس لتراقب رالف الذي يتأبط ذراع دودي. كانت أنيقة جداً تختال بتنورتها السوداء الحريرية تلف جسدها فتزيده جاذبية.

تمتم رودي: «يا لهذا الثنائي الرائع. أتذكرهما في مسرحية هاملت. كان هو كلوديوس وهي الملكة. إنهما يبدوان هكذا الآن.»

شعرت كاثرين بضيق وهي تنظر إلى ماكس. إن هذه الفكرة تخطر دائماً في بالها. هل تخطر في بال ماكس؟ هل أعميته عاطفته عن رؤية الحقيقة؟ عن رؤية رالف ودودي معاً؟

«آه، يا عزيزتي، أنتما هنا.» قال رالف ذلك وقد شعر بالرضى. «إذن نحن جاهزون، تعالوا معي!»

فُتحت الأبواب أمامهم. كان المحافظ وزوجته يقفان لاستقبالهم، وقد غصت القاعة بالحضور من الشخصيات الرفيعة والأهالي في البلدة. سار رالف ودودي أمامهم وساروا وراءهما وهم يشعرون وكأنهم يسيرون في البلاط الملكي.

لم تعد كاثرين تشعر بمرور الوقت. كانت تبتسم وتصافح وتحادث الآخرين. كانت الوجوه تسبح أمام عينيها، والأصوات تترامى إلى مسامعها، حاولت أن تبقى مبتسمة طوال الوقت.

أضاعت كاثرين رودي وسط الجموع عندما كانت تتكلم إلى صحافي من المنطقة. ثم وجدت نفسها مندمجة في حديث مع سيدة ترتدي ثوباً بنفسجياً من الحرير. كانت تحدثها عن طموح إبنتها المراهقة التي تحب المسرح والتمثيل. استمعت كاثرين إليها بلطف. كانت تبذل جهداً لكي تبتسم أو تتكلم أو تجامل. أصوات عالية وجماهير كثيرة... كلها وجوه غريبة عنها. كانت دائماً بعيدة عن العاصفة، وفجأة وجدت نفسها في وسط إعصار.

وسمعت صوتاً خلفها: «تبدين كالميتة، تعالي لتتناولي بعض الشراب.»

لم تكن بحاجة لتلتفت لتعرف من المتكلم، فقد عرفته من نبراته. أمسك ذراعها بيده. لم يعد لها خيار سوى الإطاعة. دفعها نحو إحدى زوايا الغرفة الكبيرة، ثم أجلسها على كرسي من الجلد تخفيه شجرة مزروعة في وعاء كبير من الفخار. اختفى للحظات، ثم عاد ليظهر حاملاً كأسين من

الشراب في يديه. «سيضفي هذا الشراب بعض اللون على وجنتيك.» كان كلامه فظاً.

رشفت بعض الشراب وهي ترتجف. «أخ، أنا أكره هذا الشراب!»

قال بقسوة: «إشربيه واسكتي.»

رفعت كاثرين أهدابها لتنظر إليه دون أن تبتسم. «إنك وحش كبير.»

لم تستطع قراءة ردة فعله على ملامح وجهه. «إن ثوبك باهظ الثمن بالنسبة لك.» قال فجأة دون أن تفهم ما يقصد.

«هذا ما قلته لدودي، ولكنها أصرت.» ودهشت لأنسياب كلماتها ببساطة وصدق.

كان يتأملها كمن يدرس في كتاب. «ولكنه يناسبك. إنه يبدو بسيطاً ومتواضعاً... ومحتشماً للوهلة الأولى... ثم يبهر الأنظار عندما تستديرين...»

تظاهرت بالاستماع إلى حديثه. «وهل هكذا تراني، يا ماكس؟»

استند إلى الحائط وحدق إليها. «وهل أخبرك أحد بأنك دائماً تسعين إلى المشاكل؟»

أحست بقلبها يخفق بقوة داخل صدرها. شعرت وكأن شرايينها تختنق. «أنا؟» وشعرت بالإعياء.

فقال بغضب: «أنت تعرفين أعمالك السيئة، لماذا جئت مع سامنر؟ هل كنت تسعين لإثارة نيكي؟ لاحظي تصرفك مع هذين الرجلين. أليس هذا نوعاً من إثارة المشاكل؟»

قالت له كاثرين: «لقد أخبرتك عن سبب قدومي بمعية رودي. لقد طلب مني أن أرافقه.»

فقال ساخراً: «يا للبساطة؟ ما على المرء إلا أن يطلب.»

أخافها شيء ما في تعابير وجهه، أشاحت نظرها عنه وهي ترتعش. قالت بعد برهة من الزمن. «إنك رجل غريب الأطوار يا ماكس. لا أستطيع أن أفهمك.»

فأجابها: «إنك ميتة، لا تفهميني.»

صمتا للحظات، وكأنهما كانا يريدان تغيير مجرى حديثهما. شعرت كاثرين بالألم والأسى. أرادت أن تعود إلى البيت، لتكون وحدها، بعيداً عن كل هذه الأصوات والألوان والأضواء.

فجأة قالت بصوت مرتفع: «أنا أكره الحفلات!»

ضحك ماكس. «حقاً؟ لماذا؟»

هزت كتفيها. «إنها إجهاد للتظاهر بالسعادة...»

فقال بشكل ظاهر: «تظاهر؟ لا أشعر أنك تبذلين جهداً للتظاهر عندما تكونين معي.»

فقالت بصوت مفاجيء: «إن لديك القدرة للغوص في الأعماق.»

فجأة أصبح وجهه قريباً من وجهها. هل مال هو نحوها؟ أم أنها هي التي رفعت رأسها نحوه؟ كل ما تعرفه هو أن عينيه كانتا معلقتين بعينيها. أحست برغبة للوصول إليه. أغمضت عينيها وندى العاطفة ترطب شفتيها.

بدأت الفرقة الموسيقية بالعزف وعلا صوت الميكرفون ليرحب المحافظ بالحضور. ثم دعاهم إلى العشاء، وأضاف: «سنبدأ الرقص بعد العشاء...»

كان ماكس يقف مستقيماً في مكانه. أما كاثرين فقد

شعرت بالارتباك والخجل لأنها سمحت لنفسها بعرض مشاعرها أمامه.

فجأة ظهر نيكي بين الحضور. نظر إلى وجهها بفضول: «هل أستطيع إصطحابك إلى العشاء، كاتي؟» سألها بانشراح.

ترددت، كانت تنتظر من ماكس أن يدعوها، ولكنه أشاح نظره عنها ثم ذهب.

«شكراً، يا نيكي» قالت بصوت عالٍ. لقد تحول خجلها إلى غضب.

فقال نيكي: «تمتعي برفقة طيبة، إن ماكس يحميك، ولكن بطريقة تثير الغضب. أعتقد أنه يخجل أن يعبر عن شعوره الأبوي تجاه فتاة في مثل عمرك.»

«أبوي؟» لقد هزتها هذه الكلمة.

فشرح لها: «حماية أبوية، إن ماكس من النوع الذي يكره أن يصرّح بمشاعره. إنه فظ في المسرح وفي الحياة معاً؟»

سألته: «ولكنه كان ممثلاً جيداً، أليس كذلك؟»

فقال: «لقد نجح في الإدارة أكثر، إن ماكس قادر على تبني مواهب الممثلين... ليجعل منهم نجوماً. ولكنني أكره الممثل الذكي. أين نجد ممثلاً مثل والدك في هذه الأيام؟»

ضحكت وقالت: «من الأفضل أن لا تقول كلامك هذا أمام والدي، لأنه سيعتقد أنه ممثل نكي.»

إبتسم نيكي إبتسامة عريضة. «إنه ليس ذكياً، إنه موهوب.»

«هذا ما قاله ماكس،» تمتمت كاثرين مدهوشة لتوافق أفكارهما.

نظر نيكي إليها متعجباً. «حقاً؟ حسناً، حسناً، إن العقول الكبيرة تتماثل في التفكير. عظيم أن يوافقني ماكس الرأي.»

نظرت كاثرين إلى نيكي بخجل. «نيكي، هل ستخبرني بالحقيقة؟»

أثاره سؤالها. «هذا يعتمد على السؤال!»

فسألته: «قل لي بصراحة عن رأيك في تمثيلي؟»

شعر نيكي بالارتياح. «آه، هذا كل ما في الأمر؟ إنك جيدة يا كاتي. إنك تتمتعين بموهبة طبيعية. لقد فاجأتني.»

أمعنت النظر في وجهه تحاول قراءة أفكاره. «هل حقاً تعني ما تقول؟»

«ولِمَ أكذب عليك؟ طبعاً أنا أعني ما أقول. فانت لن تكوني رمزاً للإثارة مثل كليو، ولكن من الممكن أن تكوني أفضل من شقيقاتك في التمثيل.» كان نيكي صريحاً معها، يتكلم بشكل طبيعي دون مراوغة. كان وجهه شفافاً كالماء. ولم تستطع إلا أن تصدق كل ما قاله.

قالت بخجل: «شكراً.» إبتسمت له إبتسامة تعبر عن مشاعرها وامتنانها له. حنت إلى دفء رفقة الطفولة الطويلة.

لف نيكي ذراعه حول خصرها ومال ليقبل وجنتها. «لا تفكري بشيء في هذه اللحظة. سنكون جميعنا في هذا العمل الآن.» وغمرها بيده. «إستشارات مجانية، للعائلة.»

كانت كليو متجهة إلى غرفة العشاء مع ماكس، وقفت لتنظر حولها وتفتش عن شقيقتها الصغرى ونيكي، ولكنها رسمت على وجهها الجميل إبتسامة خبث عندما رأته يقبل

كاثرين. «كم هو مؤثر،» قالت لماكس الذي كان قد رآهما أيضاً. «إن شقيقتي الصغرى غارقة في بحر من المعجبين، لقد اندمجت في العمل المسرحي بسرعة. يا لمشهد التحول هذا! لقد تحولت البطة البشعة إلى أوزة جميلة، تجذب الرجال نحوها كالمغناطيس! إن لم ينتبه نيكي إلى نفسه فقد يجد نفسه متزوجاً. والزواج لا يناسب شخصاً مثل نيكي.»

فتمتم ماكس: «عجباً...»

الفصل الثامن

كانت موائد العشاء مزينة بسلال الأزهار المنسقة والموزعة بأناقة عليها. قرنفل وغلايولا وورود تضفي ألواناً وعطراً وجمالاً على الغرفة. وتهتز ثريات متلألئة فوق رؤوسهم.

ألقى المحافظ كلمة ترحيب بالحضور. ثم تكلم رالف مادحاً شخصية باسكال فلينت، وأعرب عن اعجابه بأهالي هذه البلدة الصغيرة والتي هي مسقط رأس فلينت. وروى بعض النكات التي أضحكت الجمهور. وبعد ذلك تكلم بعض الأشخاص حتى حان وقت افتتاح المأدبة.

كان الطعام رائعاً، من الكانبيه والكافيار الأسود كحبات اللؤلؤ الصغيرة مرصوصة على قطع من الخبز الممسوحة بالزبدة، وشرائح اللورين والبيض والخس بالاضافة إلى أنواع كثيرة من المأكولات النادرة واللذيذة.

وقف رودي ينظر إلى نيكي وقد جاء بطبق مليء بالطعام اللذيذ وقدمه إلى كاثرين. وحملق في نيكي. «إنك قرصان! لقد سرقت فتاتي!»

«إنها المرة الأولى التي أمتطي فيها، ظهر مركب قراصنة، أنت تعرف هذا، أيها الرجل العجوز.» قال ذلك نيكي ساخراً.

نظر رودي إلى كاثرين مؤنباً. «هل نسيت من أصطحبك إلى هنا، يا سندريللا؟ هل من العدل أن تتخلي عني؟»

www.elromancia.com

ضحكت. «لماذا لا تنضم إلينا؟»

عبس نيكي. «إنه لا يحتاج إلى تشجيع. هل تعرفين ماذا يسميه رفاقه؟ حيوان ذو خلية واحدة.»

قهقهت كاثرين. «آه، لا أصدق هذا.»

تذمر رودي. «إنها كذبة وسخة. لا يدعوني أحد بهذا الاسم.»

اتسعت عينا نيكي وابتسم ابتسامة بريئة. «ماذا يدعونك، إذن؟»

نظر إليه رودي دون أن يجيب.

قال نيكي بنعومة: «آه، نعم. إنني أتذكر...»

«اخرس.» قاطعه رودي بغضب. ابتسم نيكي ابتسامة عريضة ورشف الشراب دون أن يتكلم. تساءلت كاثرين عن الاسم الذي يطلقونه عليه وتعجبت من غضب رودي. نظرت إلى نيكي تريد الاستفسار، ولكنه رد عليها بغمزة وابتسامة.

أكلت قليلاً من الطعام. لم تشعر بشهية لمتابعة الأكل. كانت حريصة على أن لا تلتفت إلى الزاوية حيث تجلس كليو بالقرب من ماكس. ورأسه الداكن يكاد يلاصق رأسها الذهبي.

«قولي لي، يا ميلفورد.» قال رودي بجد: «ما هو وضع ماكس نيلسون بالضبط؟ هل ثمة علاقة بينه وبين دودي الكسندر أم لا؟ ولو كان ذلك صحيحاً فلماذا يهتم بكليو بهذا الشكل؟»

مضغ نيكي قطعة من الطعام بهدوء. ونظر إلى رودي بوجهه الجذاب وقال له: «لماذا لا تسأل ماكس نيلسون نفسه؟»

ضحك رودي. «ليصبح وجهي في مؤخرة رأسي؟ لا، شكراً.»

تأمله نيكي وقال: «شجاع، ألست كذلك؟»

«الشجاعة ليست صفة ضرورية لمهنتي.» قال رودي ذلك ببرود.

فقال نيكي: «لا... تأتي الأعصاب الهادئة في المقدمة. أليس كذلك؟ وتؤثر في الخدود وخشونة الجلد وغياب المبادىء.» أصبح كلام نيكي حاداً مما أدهش كاثرين. لم تسمعه قبل الآن يتكلم بهذه الخشونة مع أحد من الصحافيين. كان يحرص دائماً على عدم اغضابهم.

كشر رودي وقال بهدوء: «مازلت تحوم فوق المقطع الذي كتبته عنك وعن داليا الجميلة. أتأسف لأنني دست على كرامتك، ولكن هذا من صميم مهنتي. فقد سمعت عن علاقتك الغرامية مع داليا وكتبت عنها. هل لي أن أعلم ما إذا كنت قد أنهيت علاقتك معها، أم أن إعلان ذلك في مثل هذه الظروف يكون محرجاً؟»

ابتسم نيكي ابتسامة عريضة حتى بانت أسنانه. «كلا، لن تعلم، كما أنني لا أعلم لماذا لا تريد أن يدعوك أحد بـ «صاحب الأذنين الكبيرتين.» أمام صديقاتك.

«صاحب الأذنين الكبيرتين؟» لم تستطع كاثرين أن تتوقف عن القهقهة.

فسأل نيكي بلطف: «وماذا نستطيع أن نسمي الصحافي الذي يصطاد أخبار الناس؟ إن هذا الاسم يناسبه. ألا توافقينني الرأي؟»

ضحكت كاثرين. نظر رودي إلى نيكي والغضب يملأ عينيه.

«يجب أن أحطم رأسك، يا ميلفورد.»

فابتسم نيكي: «حاول.»

علا صوت الرجلين الغاضبين مما لفت الأنظار إليهما. وقالت كاثرين بحدة: «كفا، توقفا عن المشاجرة. هل تريدان إفساد الحفلة؟»

ثم ضهر ماكس بقامته الطويلة وبكبريائه وبرودته. تأمل الأشخاص الثلاثة بعينيه الرماديتين الكئيبتين. خافت كاثرين ولم تحاول النظر إلى وجهه.

قال بهدوء: «حسناً.» ولكن صوته كان قاسياً كالجليد. «توقفا. لا أعلم سبب هذا الشجار، ولكنني أرى أن تتوقفا في هذه اللحظة. ابتسموا جميعاً، وحافظوا على الابتسامة. اذهب، يا سامنر وقدم لنفسك بعض الطعام وابق بعيداً عن نيكي خلال السهرة. وأنت يا نيكي، اذهب لتراقص كليو.»

ذهب رودي دون أن ينبس بكلمة. أما نيكي فنظر إلى كاثرين بسرعة وقال: «يا عزيزتي...»

فحثته كاثرين على الذهاب. «نعم، اذهب وراقص كليو.»

أومأ برأسه وذهب. بينما جلست هي وصحنها الفارغ في يدها. وتقدم ماكس وأخذه منها.

«هل تريدين المزيد؟»

فقالت بتهذيب: «لا شكراً.»

«شراب؟»

«لا شكراً لك.»

قال ماكس لها بلباقة: «إذن، تعالي لنرقص.»

ترددت.

مال نحوها ومد يده القوية النحيفة يشدها للوقوف. «أرجو أن لا تغضبيني.» همس في أذنها: «ستأسفين جداً لو فعلت.»

لم تسمعه من قبل يتكلم بمثل هذه القسوة. أحنت رأسها وسمحت له أن يقودها عبر الغرفة نحو قاعة الموسيقى.

وقفا عند حافة المساحة المحددة للرقص، حيث كان يرقص عدد كبير من الحضور رأت نيكي وكليو يدوران في صمت. كانت عينا كليو تلمعان بقسوة وغضب في آن واحد. وقد ظهرت بقعتان حمراوان على خديها المشتعلين. كانت نظراتها إلى نيكي معبرة.

لم تجرؤ كاثرين على النظر إلى ماكس خوفاً من أن يقرأ تعابير وجهها. كانت تتمنى أن ترتمي بين ذراعيه. لترقص معه وجسدها يلامس جسده. كان هذا التفكير يثير أعصابها. وفجأة، شدها نحوه. أحاطها بذراعيه وشد على خصرها بيديه. تغيرت الموسيقى... فبعد أن كانت الفرقة تعزف لحناً صاخباً، أخذت تعزف لحناً الوالتز حالماً. ووجدت نفسها ترقص معه بسهولة.

همس ماكس في أذنها: «لقد عرفت الآن، ماذا يحدث عندما تعبثين بأحاسيس رجلين في آن واحد.»

نظرت إليه في حيرة. كان وجهه قاسياً.

احتجت على كلامه: «لم يتشاجرا من أجلي.»

«لا؟» بانت السخرية على شفتيه.

فقالت: «كان بشأن قصة كتبها رودي عن نيكي وصديقته داليا.» رمقها ماكس بنظرات غاضبة. «داليا برت؟»

«لا أعرف، لم يقولا لي عن اسمها الكامل.» سكتت لحظة. «هل هي ممثلة؟»

فقال ماكس: «كلا، إنها مغنية... مغنية رديئة، ولكنها جميلة. كان لها علاقة بنيكي قبل أن تتزوج.»

«من تزوجت؟»

«لقد نسيت. إنه كلب ثمين على ما أظن. شخص مليء بالنقود. إنها تجري وراء الملايين... وقد أخطأ رودي سومنر بالتوقيت عندما كتب عن علاقتها بنيكي.»

فعبست كاثرين: «آه، أهذا كل ما في الأمر؟ وكيف انتهى الأمر؟»

قال ماكس بهدوء: «لا شكر لسامنر.»

«لم يكن يعرف!»

«آه. كان يعرف! ان رودي سامنر قادر على سماع كل شيء.»

«لهذا يدعونه بصاحب الأذنين الكبيرتين.» قالت من دون أن تفكر. ولكنها انتبهت إلى كلامها ووضعت يدها على فمها.

نظر إليها ماكس، أبعدها قليلاً عن صدره. نظرت إلى ملامح وجهه التي انفرجت. «لقد سمعت بهذا، إنه اسم يليق به، أليس كذلك؟» وابتسم ابتسامة عريضة.

«لقد أخطأ رودي بنشر قصة داليا مع نيكي. كان من الممكن أن يدمر حياتها.»

«إن سامنر يتغذى من الكوارث،» قال ماكس: «إنه كمصاص الدماء، يمص دماء ضحاياه.»

دهشت كاثرين. لقد أحبت رودي كثيراً. كان لطيفاً وقريباً

منها. لقد وثقت به وصدقته. لماذا نشر تلك القصة عن داليا؟ تعجبت. لم تستطع أن تتخيله بهذه الصورة البشعة. إنه رجل مخادع، ولكنه لن يكون بنفس القدر من السوء الذي عليه ماكس.

فقال: «أرجو أن لا تطلبي منه أن يكون رفيقاً لك في الحفلات.»

«لا،» قالت بسرعة، لم تشأ أن تطرد رودي من حياتها قبل أن تتأكد من الحقيقة بنفسها.

نظر إليها ماكس والغضب يتطاير من عينيه الرماديتين. «ماذا تعنين بلا؟ هل ستستمرين في لقائه بعد كل ما عرفت عنه؟»

«أريد أن أسمع الحقيقة منه شخصياً.» قالت ذلك بعناد أدهشه.

«يا فتاتي العزيزة،» قال بلهجة الأستاذ: «ماذا تنتظرين من صياد أخبار المجتمع؟ سيخبرك ما يناسبه.»

فقالت بجد: «في إمكاني أن أميز الحقيقة من الكذب.»

ضحك بقساوة. «لا بد أنك تمزحين!»

فقالت بحزم: «كلا، أنا لا أمزح. لا تهزأ بي، يا ماكس، فأنا لست صغيرة.»

«ولماذا تتصرفين مثل الفتاة الصغيرة؟ إنك تتكلمين كالحمقاء السانجة. لقد كان سامنر يخدع عينيك البريئتين منذ عدة شهور. وأخيراً، جاء من يزيح الغشاوة عن عينيك ويظهر لك الخداع. ولكنك تصرين على عنادك. أهذه هي ردة فعل الإنسان الحساس؟»

فقالت كاثرين: «إنها ردة فعل الصديق.»

«صديق؟» نظراته إليها كانت تشع بالغضب. «هل أنت واثقة مما تقولين؟»

فردت عليه بسرعة: «نعم.»

فقال بحزم: «تظهرين كالفتاة المغرمة. في هذه الحالة، لا جدوى من إقناعك بالتخلي عنه. إن كبرياءك واحترامك لنفسك، كل هذا لا يعني لك شيئاً أمام شعورك تجاه هذين الرجلين.»

«ماكس!» لقد صدمت باللهجة القاسية في صوته. فقد حل الغضب مكان الحنكة واللباقة.

كانا قد وصلا إلى باب مائدة العشاء المزدوج، عندما أرخى ماكس يديه عن خصرها وقدم إليها انحناءة بسيطة.

«شكراً على الرقصة.» واستدار، ثم ذهب وتركها وحدها.

سارت كاثرين إلى غرفة العشاء حيث وجدت لنفسها مكاناً في زاوية هادئة. كانت تشعر بصداع في رأسها. تمنت لو أنها لم تأت إلى الحفلة.

كانت غرفة العشاء قد رُممت وأُعيد لها جمالها، وأناقتها التي تدل على عظمة الريجنسي الانكليزي. فقد طليت الجدران باللون الأخضر الباهت. أما الأبواب والنوافذ وما تبقى من المصنوعات الخشبية فقد طليت باللون الأخضر القاتم. كانت الثريات تلمع فيعكس الزجاج الأضواء على الأرض. والستائر المخملية معلقة على قضبان من النحاس يمتد تحتها السجاد السميك الفخم. وتنبعث رائحة عطرة من الورود الموزعة في كل مكان.

حدقت إلى الثريات المعلقة في الغرفة. كانت كعائلتها...

بلمعانها، ورنينها، وإنارتها، وزيفها. «نحن طفيليات،» فكرت كاثرين. «هكذا نحن جميعاً.»

بعد لحظات، وجدها نيكي فرفع ذقنها بيده ثم حدق إلى عينيها وسألها: «لماذا أنت حزينة، يا سيدتي الجميلة؟»

ضحكت وقالت: «أنا لست حزينة، ولكنني منزعجة قليلاً.»

«إنك لا تشاركين في الحفلة! تعالي وارقصي معي! فالليل قصير وأنت جميلة. تعالي لنستمتع معاً. بدا نيكي مرحاً فتعجبت من ذلك، نظرت إليه ملياً وتساءلت، ما الذي جعل عينيه تشعان بالسرور هكذا؟ وما هذه الابتسامة المتعمدة والتي تزيده جاذبية وجمالاً.

رقصا معاً لفترة من الزمن. تسامرا وضحكا، وسارا في أرجاء الغرفة. كانا حريصين على أن يتصرفا بشكل يقنع الآخرين بأنهما مسروران ويستمتعان بالحفلة.

كان رالف يراقص دودي. لاحظت كاثرين جمال دودي البسيط، تضيئه ابتسامة رائعة تزيدها جمالاً لا تقدر عليه مساحيق التجميل. كذلك بدا رالف راضياً مبتسماً. «إنهما ملائمان لبعضهما البعض.» فكرت كاثرين وتمنت أن تنمو علاقتهما أكثر. ولكن... هناك ماكس. سيخسر واحد منهما دودي. ولكنها لن تتحمل رؤية ماكس أو رالف في حالة حزن.

انضما إلى بقية الحفل. كان ماكس يجلس صامتاً وتجلس كليو بالقرب منه. أما دودي ورالف فكانا يتكلمان عن أحداث مرت منذ زمن. ضحكت كاثرين عندما تذكرت تلك الأحداث، ولم يظهر ماكس وكليو سرورهما بالحديث.

نظر نيكي نظرة باردة إلى كليو. «أترقصين؟» طلب منها ذلك. رفعت حاجبيها. وأجابت دون أن تبتسم: «لا أستطيع رفض هذه الدعوة المهذبة.»

أعاد صياغة الجملة. «أترغبين بالرقص معي؟» هزت كتفيها، ووقفت. سحبها نيكي نحوه بغضب حتى أصبحت بين ذراعيه. احمرت وجنتاها. قالت له شيئاً بينما كانا يرقصان ورد عليها نيكي موافقاً معها.

وقف ماكس ونظر إلى كاثرين «هل لنا؟»

وقفت كاثرين وسمحت له بجذبها نحوه. ثم بدآ بالرقص. قال لها ماكس: «سيتلقى ابن عمك لكمة على فكه إن استمر بالإساءة إلى كليو.»

لم تجب كاثرين. كان كل اهتمامها منصباً في هذه اللحظة... على اقتراب جسده من جسدها... على احساسها بيده تلامس خصرها وأصابعه تضغط على جلدها. سيطر عليها شعور بالسعادة إذ حركتها مشاعرها الجسدية. هل حقاً كانت تكره هذا الرجل؟ لم تعد تعرف متى توقفت عن كرهه لتقع في الحب... ونظرت إلى كتفه الممدودة فوق عينيها. الحب... هذا هو الحب... إنه الأحاسيس التي تغمر جسدها وتملأ كيانها.

قال لها فجأة: «لا بد أن الرقص معي قد أضجرك إلى حد ذرف الدمع.»

نظرت إليه بدهشة. «عفواً؟»

«لقد تكلمت معك عدة مرات ولم تسمعي كلمة واحدة مما قلت! ما الذي يشغل بالك؟» تعلقت عيناه الرماديتان بعينيها وهو يحاول قراءة ما بداخلهما.

«لا شيء،» أجابت بسرعة خوفاً من أن يلاحظ خجلها وغضبها.

رفع حاجبه. «ولكنني أشعر بأن هناك شيئاً ما.» كان حكمه ثاقباً. «عندما تتورد وجنتا فتاة مثلك، نعرف عادة أن هناك رجلاً وراء هذا كله...»

أشاحت كاثرين بوجهها عنه وهي تعض على شفتها. بينما شدَّ بذراعيه على خصرها. «إنك تؤلمني!» تذكرت عندما قالت هذه الجملة في آخر مرة... تذكرت تلك القبلة التي لا ترحم... وارتجفت.

فقال بحزم: «أحب أن تشعري بالألم، لم أعرف فتاة في حياتي تُشعرني بالغضب مثلك أنت. إنك أكثر عناداً وسذاجة وإثارة من أي مخلوق آخر!»

فقالت برقة: «أنا آسفة لأنني أثرت غضبك. لم أقصد.»

«أنت تتوجهين في كل اتجاهات، من دون أن تدركي أين الاتجاه الصحيح...»

فكرت... إنني أحبك، هذا هو اتجاهي، ولكن أتمنى أن أعرف الطريق الصحيح لأتخلص من هذا الوضع الذي لا يُحتمل، لأنني أعرف أنك لن تنظر إلي، فأنت تتأرجح بين دودي وكليو. لماذا لا تقرر وتحزم رأيك؟ تباً لك، يا ماكس! لِمَ لا تقرر؟

كان رالف ودودي يغادران الحفلة. لم يكن رالف يتأخر في سهرات التدريب. الممثلون يرهقون انفسهم، عادة بالعمل، ولكن رالف يجهد نفسه كثيراً.

انضم ماكس وكاثرين إلى المجموعة عند الباب. كان المحافظ وزوجته يصافحان الحضور مودعين. ابتسم

المحافظ لماكس ابتسامة مودة وأعرب عن اعجابه بعمله، ثم التفت إلى كاثرين.

«وها هي ذي الممثلة الناشئة الجديدة! حسناً، إن «كانت ويتش» يسرها أن تكون أولى خطواتك على أرضها... هذه الجملة... أولى خطواتك على أرضها!» بدا مسروراً وهو يعيد كلامه.

ابتسمت له بتهذيب. «شكراً.»

تأبط ماكس ذراعها وخرج. نظرت وراءها، فلم تر رودي، بل رأت نيكي يراقص كليو. كانا صامتين، تاركين الحديث لتعابير وجهيهما.

«أرى أنه من الأفضل...» كانت قد استدارت محاولة الرجوع، ولكن ماكس شد قبضته على ذراعها.

قال لها: «ستذهبين إلى النوم، يا سيدتي الصغيرة.»

احتجت على ذلك: «يجب أن أودع رودي. لقد جئت معه، ولكنني لم أكد أراه خلال السهرة...»

«هذا جيد أيضاً،» قالت دودي، وقد سمعتهما يتحادثان. «ستعودين معنا، يا عزيزتي.»

قال ماكس بهدوء: «سأصحبها.»

ولكن دودي احتجت. «يجب أن تنتظر كليو، يا ماكس! أين هي؟»

فقال ماكس: «سيصحبها نيكي إلى البيت، وأنا سأصحب هذه السيدة الصغيرة.»

ضحك رالف وقاد دودي أمامه دون مناقشة. تحركت كاثرين لتلحق بهما، ولكن ماكس أمسك بكتفها وقادها نحو ظلام مرآب السيارات.

«استعملي تفكيرك... فهما لا يريدان معهما ثالثاً هذه الليلة.»

نظرت كاثرين إليه وقد دهشت لكلامه الغريب. لقد كانت عيناه تلمعان في تلك الظلمة. هل شعر بالغيرة أم بالغضب؟ تساءلت في سرها، هل لاحظ انسجام رالف ودودي أثناء الحفلة؟ من الواضح أنه قد لاحظ، ولكن، ماذا يخفي وراء طبعه الهادىء؟ هل رضي بهذا الواقع واعتبره أمراً محتماً؟ أم أنه يتصرف بلامبالاة؟ أم أنه يحاول إخفاء مشاعره؟

«أنت... هل تمانع؟» حاولت أن تكون لبقة في سؤالها.

نظر إليها متأملاً. «وأنتِ؟»

«أنا؟» تعجبت وضحكت. «أمانع؟» إنني مسرورة جداً. أنت تعرف كم أحب دودي.

أومأ برأسه، وقال: «إن دودي مشغولة قليلاً، على أية حال... حتى العلاقات الحميمة تسوء عندما تطرقها الغيرة، وهي تعرف كم تحبين والدك.»

«أحبهما بنفس النسبة،» قالت كاثرين ذلك بصدق: «لقد كانت دودي بمثابة أم لي، ولن أكون سعيدة لو افترقت عني.»

«والآخرون؟ كليو؟ فيولا؟ كاس؟ هل سيعارضون زواج رالف من دودي؟ ففي المدة الأخيرة شعرت أن كليو لا تحب دودي.»

نظرت كاثرين، إليه بدهشة. «كليو؟ حسناً، ربما هي تغار من شخص آخر...»

عبس وقال: «ماذا تعنين؟»

ترددت كاثرين ثم قالت: «لقد كنت تظهر مع دودي في المدة الأخيرة وربما ظنت أنك مغرم بدودي...»

كانا قد وصلا إلى سيارة ماكس. فتح لها الباب وساعدها بالدخول إلى السيارة بوضع يده تحت مرفقها. ثم سار حول السيارة وجلس خلف المقود. أضاء الضوء الداخلي في السيارة ونظر إلى وجهها، واضعاً يده على ظهر مقعدها.

كان يبدو كالقائد الذي يجلس على عرش عندما قال: «وهكذا، اعتقدت كليو أني أحب دودي؟» تأمل وجهها الصغير الشاحب. «وأنت، ماذا اعتقدت؟»

فقالت بصراحة: «اعتقدت أن هناك شيئاً ما بينكما.»

لمعت عيناه الرماديتان. «وما هو الشيء؟ هل سررت لاعتقادك أنني سأتزوج دودي؟» كانت نبرات صوته ساخرة مما جعلها تبتعد عنه.

فقالت مؤكدة: «يسرني أي شيء يسعد دودي.»

«حتى زواجها مني؟» ظهر غاضباً. لم تعرف كاثرين سبب غضبه، فهناك شيء ما في هذه المناقشة سبب له كآبة وغضباً في آن واحد؟

تمتمت: «في الواقع، لا يحق لي أن أختار لها شريك حياتها، ولكنني أفضل أن تختار أبي.» نظرت إليه بعينيها الواسعتين نظرة إغواء. «أنا آسفة، يا ماكس، ولكن رالف بحاجة إليها أكثر منك.»

«هل تعتقدين أنك تعرفين ما الذي أحتاجه، يا عزيزتي الصغيرة؟» ظهر غضبه واضحاً ومتأججاً في عينيه الضيقتين وشفتيه الرقيقتين وأنفه الدقيق.

قالت له بعصبية: «أنت لست من الرجال الذي يحتاجون امرأة بهذه الطريقة.»

فقال ساخراً: «وبأية طريقة؟»

خجلت كاثرين وقالت: «أنت قوي جداً وقد عشت وحدك فترة طويلة، فلست بحاجة الى إمرأة مثل دودي لتتكيء عليها... إن رالف أضعف منك في كثير من الأمور. وهو بحاجة إلى الحب والدعم.»

«وما أنا؟ انسان من الدرجة الثانية ليس بحاجة إلى الحب؟» حدق في وجهها. «ماذا تعرفين عن الحاجات، يا كاتيا؟ إنك ما تزالين طفلة صغيرة. هناك حاجات لا تؤمنها للرجل سوى المرأة. وأنت جاهلة بمثل هذه الأمور. إني آسف للشخص الذي سيعلمك، لأنك جبانة لا تجرئين على الاستجابة لمتطلباته.»

لم يكن لدى كاثرين جواب على كلام ماكس. لقد كان مخطئاً في حكمه عليها، ولكنها لا تستطيع أن تؤكد له حقيقة مشاعرها دون أن تخدع نفسها.

قاد ماكس السيارة في جو من الصمت قطعته عندما قالت له تصبح على خير، حين وصلا إلى المطبخ، ثم تركته وصعدت إلى غرفتها. لم تلمح رالف ودودي. خلعت ملابسها واستحمت ثم وقفت في ظلام غرفتها تحدق نحو الحديقة.

كان ماكس موجوداً في الحديقة. نظر إلى نافذتها وكأنه أحس بها تنظر إليه. «إذهبي للنوم،» أمرها بذلك صوته البارد.

وقفت مكانها برهة تنظر إلى وجهه البيضاوي. تمنت لو

تنزل إلى حيث الظلام المفعم برائحة الورود لتسير معه بين الأزهار وتستمع إلى حفيف أوراق الأشجار.

«تصبح على خير،» همست، ثم ذهبت إلى سريرها.

سمعت صوت دوسه فوق عقب سيجارته. ثم أحست بالهدوء يسيطر على الحديقة. مر وقت طويل قبل أن تستلم للرقاد.

الفصل التاسع

في صباح اليوم التالي، دهشت كاثرين عندما وجدت رالف ودودي قد سبقاها إلى مائدة الفطور. كان سبي يقف خلفهما ويبتسم. وفي وسط الطاولة وعاء فضي يحافظ على برودة زجاجة الشراب الموضوعة فيه.

توقفت كاثرين لحظة وألقت نظرة خاطفة. كانت ابتسامة رالف ودودي لها، تعبر عن سرور وخوف في آن واحد.

«هل هذا صحيح؟» ركضت نحوهما لتعانقهما.

«لقد عرفت من وجهيكما... آه، هذا رائع! إنني سعيدة جداً! دودي، أبي العزيز! كنت أتمنى أن يحصل هذا الأمر... وها قد حصل!»

قال سبي بلباقة: «لقد قلت لك، يا أيتها السيدة.»

«نعم، لقد قلت.» أومأت دودي برأسها موافقة على كلامه. قربت كاثرين منها حتى أصبح خدها الناعم يلامس خد الفتاة.

«شكراً لك، يا عزيزتي كاتيا على قولك هذا! فقد كان ماكس يعتقد أنك ستسرين، لكنني لم أكن متأكدة. أعرف أنكِ تحبينني، ولكن لا أعرف شعورك تجاه زوجة الأب...»

«لقد كنت دائماً أماً ثانية لي وما هذا سوى اثبات رسمي للواقع.» قالت كاثرين ذلك وهي تبتسم لوالدها. «أبي المحظوظ ما كنت لتفعل شيئاً يسعدني أكثر من هذا.»

ظهر رالف أنيقاً وجذاباً بلحيته الذهبية التي تلمع تحت

أشعة شمس الصباح. قال محاولاً مضايقتها: «أخجل من الإعتراف أمامك بأن دوافعي كانت أنانية. لقد تقدمت بطلب يدها لتكون زوجة لي. ولم أعرف إلا لاحقاً أنها ستكون أماً لك.»

ضحكت كاثرين. «يا لك من مخادع، يا أبي! أعرف أننا سنكون سعداء مع بعضنا البعض. لقد رأيت فيكما البارحة زوجين رائعين، وكأنكما خلقتما ليكمل كل منكما الآخر.»

دخلت كليو ترتدي عباءة نوم خضراء حريرية فضفاضة. وقفت وحدقت إلى زجاجة الشراب بدهشة. ثم نظرت إلى وجوههم، فرأتها فرحة ومسرورة ومتشوقة.

ضحكت كليو ضحكة قاسية. «هل هناك مناسبة سعيدة على وشك الحدوث؟»

لم تتحرك دودي لتعانقها كما فعلت مع كاثرين. أما رالف فمد يده إلى كليو بعد أن أخبرها بالنبأ الجديد. نظرت كليو إليه ثم إلى دودي.

«أحر التهاني، يا دودي، لقد نجحت في هذا الأمر، ولكن ماذا بشأن ماكس؟ ألن يعارض هذا الحدث الجميل؟»

نظرت دودي نظرة حزينة. ولكن رالف احتج على كلامها وقال: «لا تخاطبي دودي هكذا يا كليو، إنك مشاكسة، لا تعرفين ما تقولين!»

أجابت بسخرية: «أنا آسفة... لا أستطيع أن أتظاهر بالفرح والغبطة في مشهد خطوبتكما. في الحقيقة، لم يعجبني هذا الموضوع... ألست كبيراً على الغرام يا أبي؟»

كان رالف يشتعل غضباً. ظهر كالقنبلة التي على وشك أن تنفجر. ضحكت كليو وانسحبت من الغرفة قبل أن يعبر عن

الغضب الذي كان يغلي في رأسه بكلمات مهينة وقاسية.

هدأت دودي من روعه. «حاول أن تنس ما قالته، يا عزيزي. إن كليو فتاة تعيسة. وأنا أشعر منذ مدة بتعاستها.»

قال سبي بلطف: «ليس قبل أن تتشاجر مع ابن عمها.»

استدارت دودي بسرعة وحدقت إليه. «ماذا قلت؟ تشاجرت مع من؟ هل تعني نيكي؟»

نظر سبي إليها نظرة باردة. فتنهد رالف. «لم تكن هناك علاقة بين نيكي وكليو في البداية. ولكن، منذ سنتين، على ما أعتقد، ظهر في الأفق ما يدل على انسجام بينهما... لم يدم هذا الانسجام طويلاً لأن كليو كانت صعبة في علاقاتها مع الآخرين.»

«منذ سنتين؟» فجأة تذكرت كاثرين. «أعتقد أنه في نفس الوقت الذي تزوجت فيه داليا برت من ذلك الثري الحقير؟»

«ماذا؟» حدق الجميع إليها، كانوا صامتين ومدهوشين في آن واحد.

سألتها دودي بقلق: «هل أنت بخير، يا عزيزتي؟»

أومأت كاثرين برأسها: «تماماً. أين ماكس؟»

أجاب سبي فوراً: «ما يزال في سريره. لا بد أنه تأخر في السهر خارجاً في الليلة الماضية.»

اتجهت كاثرين نحو الباب دون أن تنطق بكلمة. صعدت إلى الطابق العلوي قرعت باب ماكس. ولكنه لم يجب. هل نهض وخرج؟ دفعت الباب ونظرت خلسة إلى الداخل.

كانت الغرفة باردة وقد أسدلت ستائرها. اقتربت من سريره ونظرت إلى وجهه... إلى أنفه الغليظ، إلى فمه

القاسي، وإلى العينين المثقلتين بالأهداب... كلها غارقة في نوم عميق. لقد بدا شاباً بشعره الأسود الداكن. أخذت تمرر يدها بنعومة على خصلات شعره.

نهض مذعوراً وأمسك معصمها بسرعة البرق. صرخت خائفة. فقد اتسعت عيناه عندما حدّق إليها.

قال ببطء: «حسناً، حسناً، حسناً. ما هذا الشرف، يا فتاتي؟»

«أ... أنت كنت نائماً، لقد تأخرت.» حاولت أن تبرر موقفها. «التدريب، هل نسيت؟» حاولت أن تخلص معصمها من يده، ولكنها لم تفلح.

«ليس هذا هو السبب الذي دعاك إلى الدخول إلى غرفتي.» قال ذلك وهو يتأمل وجهها مفكراً: «أخبريني عن السبب الحقيقي.»

فقالت بسرعة: «هل تذكر عندما أخبرتني بأن رودي قد كتب مقاله عن علاقة نيكي بداليا؟»

قال وهو يراقب وجهها: «نعم.»

«هل كان ذلك منذ سنتين؟»

أجاب: «أعتقد أنه كان منذ فترة كهذه.»

«هل كان نيكي على علاقة بكليو؟» سألته، وكأنها تطلب إيضاحاً آخر.

رفع حاجبيه. «هكذا إذن. هذا يفسر حاجتك الملحة لرؤيتي. ماذا لو كان على علاقة بها؟ أتغارين؟»

أبعدت هذا السؤال وكأنها لم تسمعه. «لماذا لم تقل لي؟ لماذا لم تقل كليو شيئاً؟ في الصيف الماضي وفي «بروفانس»... شعرت بأن هناك شيئاً ما، ولكن الجميع

كانوا يحرصون على أن لا يتكلموا عنه. لماذا تلك السرية؟»

لم تكوني مشاركة معنا ولم يكن ذلك من شأنك. وأعتقد أن كليو لم تشأ أن تنشر الخبر، أما نيكي... فلم يشأ أن يثير الموضوع، وكذلك فقد تضايقت داليا كثيراً من الخبر، لذا وافق الجميع على طمسه.

«وهكذا، عندها نشر رودي هذا الخبر، فحطم العلاقة بين نيكي وكليو وكان على وشك أن يلغي زواج داليا.»

أومأ ماكس برأسه. «إنه لعمل عظيم. أليس كذلك؟»

«لماذا فعل هذا؟» تمتمت كاثرين ورفعت حاجبها متسائلة.

فقال ماكس مؤكداً: «لأنه حشرة صغيرة، ولكنها سامة.»

نظرت إلى وجهه، ثم أفلتت في إفلات يدها. سمح لها ماكس بالذهاب، ولكنه ظل يلاحقها بعينيه وهي تبتعد عن سريره.

«الأفضل أن تهربي من الغرفة دون أن تتفوهي بكلمة! سأنهض لاحقاً.

كان رالف ودودي قد غادرا المكان، في الوقت الذي كانت فيه كاثرين تنهي فطورها والذي احتوى على كأس من الشراب احتفاءاً بالمناسبة. كانت كليو ترتدي الجينز والبلوزة الحريرية وتشرب كوباً من اللبن. أما سبي فقد جاء لينظف الطاولة ويأخذ زجاجة الشراب والكؤوس.

كانت كليو تصرخ عند المدخل. قائلة بحزم: «ليس أنا.»

أمسكت كاثرين بنسختها عن المسرحية وركضت عبر الممر. ليفتح لها نيكي باب السيارة. وهو يقول لها: «لي كلام معك.»

ركبت السيارة وانطلقا بسرعة هائلة.

قاد نيكي السيارة مركزاً نظره على الطريق أمامه. تكلم بعد برهة وقال: «كاتي، هل تذكرين الصيف الماضي؟»

فقالت برقة: «في بروڤانس؟ طبعاً.»

نظر إليها باستغراب. «كيف كان؟»

تحيرت من سؤاله وقالت: «لابأس به، على ما أعتقد. لقد أمضينا وقتاً ممتعاً. كان الطقس رائعاً وقد تسلينا كثيراً.

فقال متلهفاً: «تسليت بماذا؟ أهذا كل ما في الأمر؟ تسلية فقط؟ ولا شيء أكثر؟»

ترددت ثم قالت بحزم: «لا شيء أكثر، نيكي، فلم يكن الأمر سوى تسلية بالنسبة لك أيضاً... صدقني.»

تنهد بعمق ثم قال: «حسناً، لا، بصراحة. أنت فتاة عزيزة على قلبي وجميلة، ولكنني خدعتك لأنني أردت أن أثير غيرة فتاة أخرى. لهذا فقد تعمدت مغازلتك. لم أعرف ما سيكون تأثير تصرفاتي معك على مشاعرك حتى مساء البارحة.»

«كليو؟» حزرت من دون أن تبذل جهداً. تأملت وجهه الجذاب الشاحب والمنفعل.

«كيف عرفت؟»

«لم يكن من الصعب أن أحزر. وماذا تقول كليو؟»

خفف من سرعة السيارة ثم انعطف إلى مرج عشب حيث يستطيعان أن يتكلما بهدوء.

التفت نحوها ونظر إلى وجهها ويده ممدودة على ظهر مقعدها «لقد أغاظت مغازلتي لك كليو. واعتبرتني غير جدير بالثقة. لقد وصفتني بالمخادع الذي سبب تعاسة لك

في الصيف الماضي. أنا متأكد أنك لم تأخذيني على محمل الجد، ولكنها لم تقتنع بكلامي.»

في الحقيقة، فكرت بعمق. لقد كانت كليو محقة في تفكيرها. فقد كانت تعيسة طيلة الوقت حتى دخل ماكس حياتها وشفى جراحها. إن تصرفات نيكي خطرة على أية فتاة حساسة، ومن الممكن أن يحطم مشاعرها، إنه كعود الثقاب الذي يوجه نحو مصنع للبارود.

قالت بصوت مرتفع: «سأتكلم مع كليو إن أحببت، يا نيكي.» نظر إليها بدهشة. «هل تفعلين؟ قولي لها ما قلته الآن... إنها كانت مجرد تسلية بالنسبة لك أيضاً. من الممكن أن تقتنع بكلامك.»

«آمل أن أقدر على اقناعها.» انتظرت لحظة ثم قالت: «نيكي، أخبرني... لماذا نشر رودي ذلك الخبر عنك وعن داليا؟ هل عرفت السبب؟»

قال نيكي ببساطة: «ثرثرة صحافية.»

فقالت محتجة: «لا، لا أستطيع أن أصدق ذلك.» إنها تعرف رودي... فهو لا يمكن أن يكون بمثل هذه الوحشية.

هز نيكي كتفيه. «ماذا إذن؟ لم تكن تعرف كليو أي شيء عن داليا. أنت تعرفين غرور أختك... لقد جنت عندما قرأت تلك الفقرة عني وعن داليا. وقد عملنا معاً لمدة شهور لم تتكلم معي خلالها. لقد كنت أقبلها على المسرح مرتين في الليل وأربع مرات في فترة بعد الظهر. لقد كان جحيماً، وكان يتصبب العرق من جبيني في كل مرة أصعد فيها على خشبة المسرح. كنت أهتز كورقة الشجر عندما أدنو منها لأقبلها. وكانت هي تنظر إلى وجهي وتقابلني ببرود لا يحتمل.»

كانت كاثرين قادرة على أن تتخيل الموقف وخصوصاً أنها كانت تعرف أخلاق كليو وتصرفاتها. فقد كانت دائماً فتاة محافظة، مغرورة ومستقلة. تخفي آلامها وترفض أن تصرّح بشعورها أمام الآخرين.

قالت بلطف ونعومة: «مسكينة كليو.»

«مسكينة كليو؟ هل أنت قادرة على تصور الموقف... أقف لأقبل فتاة باردة العواطف. ثم تبتسم ابتسامة احتقار تُجمد نخاعي الشوكي داخل عظامي؟ أخيراً، تنفست الصعداء حين انتهى عرض المسرحية.»

تمتمت: «لم أشك في الأمر. لا بد أنني كنت عمياء لأنني لم ألاحظ ما كان يجري حولي.»

«أتمنى أن أبقى قادراً على التمثيل.» قال نيكي ذلك ساخطاً ثم أضاف بجفاف: «إن كليو ليست سيئة.»

قالت كاثرين بصدق: «إنها رائعة. لقد كانت تخدعني طيلة الوقت. كنت أظن أنها تكرهك.»

ظهر نيكي حزيناً. «إنها تكرهني حقاً. لم يكن ذلك تمثيلاً.»

نظرت إليه كاثرين نظرة عطف. «لست متأكدة فقد لاحظت شيئاً ما بينكما في الليلة الماضية.»

فقال: «نعم، الكره.»

هزت رأسها نافية. «كلا، سأرى كليو. فأنا متأكدة من تشاؤمك.»

بدأت تمارين مراجعة المسرحية وتقدمت ببطء ملحوظ. كان مزاج ماكس عصبياً يوجه ملاحظاته القاسية إلى الممثلين المشاركين في المسرحية. لم تسلم كاثرين منها.

وكذلك كليو التي كانت تنظر إلى ماكس بذهول دون أن تجيب. وقد وقع نيكي ضحية، عندما أخطأ وحاول مناقشة خطأه، فلم يسلم من كلمات ماكس اللاذعة وأسئلته الصعبة.

همس نيكي في أذن كاثرين: «من يظن نفسه؟ أتيلا ملك الهون ؟»

حدق ماكس إليه وقال: «لو كنت تريد قول شيء، فقله بصوت عال لكي نسمع.»

غضب نيكي واحمر وجهه. نظرت إليه كليو نظرة إزدراء وسخرية. أما باقي الرفاق فتحاملوا على أنفسهم وصمتوا بتهذيب.

كان النهار مملاً. حاول الجميع أن يتحاشوا نظرات ماكس الناقدة. وعندما انصرفوا في نهاية التدريب، أمسكت كاثرين أختها وقالت: «أريد أن أتكلم معك، تعالي لنتناول كوباً من الشاي.»

فقالت كليو ببطء: «سيصحبني ماكس إلى البيت.»

قالت كاثرين: «أرجوك.»

حدقت كليو إليها ثم هزت كتفيها. «آه، حسناً، سأطلب من ماكس أن ينتظر، ولكن لماذا لا تنتظري حتى نصل إلى البيت؟» رأت ماكس وهو في طريقه إلى الخارج فقالت له: «هل تستطيع أن تنتظرني لمدة نصف ساعة؟ إن كاثرين تريد أن تحادثني بسرية.»

حوّل ماكس نظره إلى كاثرين. لم تجد كاثرين سبيلاً إلى فهم تعابير وجهه. «حسناً، سأكون في المكتب.»

حصلتا على كوبين من الشاي من المطعم. ثم ذهبتا إلى الشرفة بمحاذاة النهر. كانت المياه تتلألأ وتعكس لون

السماء الزرقاء. فبانت وكأنها قطعة من مرآة مكسورة يسبح على وجهها أسطول صغير من البط.

«أهرب من مشاكل العالم والجأ إلى البط.» علقت كليو بلطف ثم حركت الشاي. «حسناً؟»

سعلت كاثرين لتحاول لتجلو صوتها وبدأت الكلام: «كل ما أريد أن أقوله لك هو أنني لست مغرمة بنيكي.»

فجأة احمرت وجنتا كليو ولمعت عيناها غضباً وركزت نظرها على كاثرين. «ماذا؟ هل طلب منك أن تخبريني بهذا؟ لماذا ذلك...» قطعت كلامها وضغطت بأسنانها على بعضها البعض.

قالت كاثرين بسرعة: «لقد قلت له أنك تعتقدين أنني... لا أستطيع أن أعبر بسهولة...»

فوافقتها كليو: «طبعاً، أنت لا تستطيعين.»

«ولكن أريدك أن تكوني على بينة من الأمر. فقد فهمت الأمور بشكل مخطىء. لقد أعجبت بنيكي في الصيف الماضي. كان الجو شاعرياً في بروڤانس...»

فقالت كليو ساخرة: «شاعرياً. كان ظل القمر على صفحة المياه الزرقاء، وعزف غيتار في الجوار وعطر أزهار حقول المصانع خلف المدينة وهمسات نيكي في أذنيك الشبيهتين بصدفة البحر...»

قالت كاثرين بخجل: «نعم، تستطيعين أن تهزئي، ولكن لهذه الأمور تأثير على المشاعر.»

«إنها بالفعل مؤثرة، ونيكي خبير في مثل هذه الأمور، صدقيني. إنه قادر على عزف ألحان مختلفة بصوت واحد.» أحست بغصة في حلقها. «وأنت قد وقعت في هواه... لا تنكري هذا.»

«أنا لا أنكر، ولكن ما أن عدت إلى انكلترا حتى اختلفت الأمور، وبعد فترة لم يعد يعني شيئاً بالنسبة لي.»

نظرت كليو إليها متعجبة. «لم يعد يعني شيئاً؟»

أومأت كاثرين برأسها. «أشعر به كأخ. كصديق. أعزه، ليس أكثر. صدقيني، يا كليو، هذا كل شيء.»

عضت كليو على شفتها السفلى. «حسناً، جيد. أنت محظوظة. انضمي إلى قائمة السعداء الهاربين من سحر نيكي ميلفورد القاتل.»

فقالت كاثرين وقد كرهت كلام كليو القاسي: «كلا.»

«آه، صدقيني، لم يقدر الكثيرون على الهرب في الوقت المناسب. وأرض المسرح الجرداء مليئة بعظامهم!»

قالت كاثرين: «ولكن نيكي يحبك، يا كليو.»

التفتت كليو ونظرت إليها بغضب وقالت: «لم آت إلى هنا لكي أسمعك ترددين هذه الرسالة على مسامعي! ولو كان لدى نيكي شجاعة لما أختارك أنت لتبلغيني رسالته.»

تأملتها كاثرين وهي تسير نحو مرآب السيارات. كان شعرها الأحمر الذهبي يلمع تحت أشعة الشمس. نهضت، ثم تبعتها بعد أن رمت كوب الشاي الورقي في سلة المهملات.

عندما وصلت إلى المرآب، رأت ماكس وكليو يجلسان في السيارة. ترجل ماكس وفتح الباب الخلفي، ثم دعا كاثرين. وهو يقول بلباقة: «لقد ذهب الجميع.»

كانت كليو تجلس صامتة وشعرها الناعم يتطاير على كتفي ماكس. كان يمد يده ويبعد شعرها عن رقبته. جرحت هذه الحركات شعور كاثرين وأحست بالحزن والغيرة.

أمضوا جميعهم السهرة في البيت ليحتفلوا بمناسبة

خطوبة دودي ورالف. لم تصل أخبار الخطوبة هذه إلى الصحافة. وكانوا يأملون أن تتأخر الصحف، في نشر هذا الخبر.

«لا تتفوهوا بأية كلمة أمام رودي سامنر.» حذرهم ماكس بطريقة ديكتاتورية. أومأت كاثرين برأسها دون أن تجيب. فقد أغضبها تصرفه المتسلط، وكانت تتمنى أن تصفعه وتحطم تلك الابتسامة اللئيمة المرسومة على وجهه.

«لقد عاشت كاثرين حياتها في تحفظ.» قالت دودي مدافعة عنها. ابتسم ماكس بكسل. «لقد أدهشتني! إن تصرفاتها لا توحي بذلك!»

نظرت دودي إليه متعجبة. «ماكس، ماكس.» تمتمت بصوت ناعم، أما ماكس فقد احمر وجهه وخرج من الغرفة.

في اليوم التالي كان التدريب أكثر نجاحاً. لقد أصبحت المجموعة كوحدة متكاملة تتفاعل وتمثل بعفوية وحرية.

لم يؤثر النجاح على ماكس كما لم تؤثر فيه أحداث القصة. كان كالسيد الذي يدير مؤسسة ويحاول أن ينتج بواسطة العنف إن لم ينجح بواسطة اللطف.

ومع مرور الوقت، أصبح ماكس قادراً على السيطرة عليهم. كان يظهر لطفاً وابتسامة ولباقة أثناء التدريب. وفي لحظة يبدأ بالصراخ والتأنيب. ثم تعود العاصفة لتهدأ من جديد ويسيطر الجو اللطيف مرة أخرى.

استخدم ماكس أساليب مختلفة في تدريبهم. كان يغير الاسلوب كلياً إن شعر بأن الممثل لم ينجحفي إداء دوره. كان بعضهم لا ينجح في عمله إلا بعد شرح طويل، وآخرون

يحتاجون إلى مداراة وفهم لأوضاعهم. وهناك فتاة أو إثنتان لم تنجحا إلا بعد أن غازلهما... فالدافع العاطفي كان مهماً عندهما. كان ماكس كل شيء بالنسبة لهم. كان يعرف كيف يختار الطريق الأفضل للوصول إلى هدفه.

إزداد اعجاب كاثرين بماكس من خلال مراقبتها له أثناء العمل. كان يحثها دائماً ويشجعها على الاداء، ولكنه كان نادراً ما يفقد أعصابه معها.

كانت تشعر بالكسل والبطء في العمل في بداية التدريب. كانت يداها تتحركان كالمقانق ورجلاها تتزلقان فتتعثر في مشيتها على خشبة المسرح فتخجل وترتعش وتشعر بألم في معدتها.

ولكن، مع تكرار فترات التدريب، زال الخوف من قلبها. وانسجمت مع الشخصية التي تؤدي دورها في المسرحية. أصبح جسمها خفيفاً حتى أنها لم تشعر به أثناء الحركة. رمت أحلامها وخوفها ومشاعرها بعيداً، وانغمست في تلك الشخصية. شخصية الفتاة الخجول المتشوقة والمذهولة الضائعة في الكوابيس. تبكي بصمت وتطلب المساعدة بحركات إيمائية بليغة.

لم تتكلم سوى في المشهد الأخير... خطابها الوحيد. عندما تكلمت، أحست بألمها وحزنها يرنان في آذان الجمهور. لقد شعرت بالإعياء والتعب في تلك اللحظة.

ما أن انسدلت الستارة حتى اقتربت دودي وعانقتها. بكت دودي ولكن بدموع الفرح. ولم تعرف كاثرين أنها كانت تشارك دودي البكاء، إلا حين شعرت بالدموع تسيل على زاوية فمها.

تجمع بقية الرفاق حولها يهنئونها. ثم رأت ماكس على المسرح بوجهه الشاحب المتوتر.

«ما الذي يحدث هنا؟ اجتماع اعجاب؟ لم ننته بعد، فلا تظنوا أنكم سترتاحون وتذهبون إلى بيوتكم. عندي قائمة من المشاكل بطول جسر فورت. لذا توقفوا عن التربيت على ظهور بعضكم البعض واسمعوا حقيقة عدم اكتمال اداء...»

حدق الجميع إليه مأخوذين بما قاله. أشار إليهم أن يجلسوا. ثم دعاهم واحداً واحداً وأخذ يطرح عليهم الأسئلة المحرجة ويشير إلى نقاط ضعفهم ويمدح نقاط نجاحهم. كانوا يصغون إليه بانتباه.

كان قد مر وقت طويل قبل أن يسمح لهم بالذهاب إلى بيوتهم. وهكذا تبخر شعورهم بالنشاط والخفة.

نظرت كاثرين إلى دودي. كانت حزينة ومجروحة. «لماذا كان قاسياً هكذا؟ لم أكن بهذا السوء!»

ابتسمت دودي لها وطمأنتها قائلة: «إن الراحة في يوم التدريب الأخير يشعر الممثلين بالكسل فيؤدي بهم إلى الفشل في الليلة الأولى. فلا بد أن تكون النتيجة جيدة بعد فترة التعب هذه.»

«فهمت،» قالت كاثرين. ولكنها لم تكن متأكدة من فهمها لكل ما قالته دودي. وضحكت كليو، وهذا أدهش الجميع لأن ماكس كان قاسياً عليها أيضاً.

«عزيزتي، حتى لو أبدعنا في الاداء في الليلة الأولى، فسيقف ماكس في الصباح ليتلو علينا قائمة من الإنتقادات... لا تتخيلي أن التدريب سيتوقف عند بدء

عرض المسرحية! سيبقينا ماكس متأهبين طوال الوقت.»

انضم نيكي إليهم، ونظر إلى كليو، فما كان منها إلا أن رمقته بنظرة طويلة باردة. ابتعدت كاثرين ودودي عنهما لتنضما إلى ماكس ورالف.

لمح ماكس نيكي وكليو ثم نظر إلى كاثرين، رافعاً حاجبيه. «أنت تعرفين كل شيء الآن، أليس كذلك؟ ربما عرفت الآن لماذا قلت لك ان ابن عمك شخص تافه.»

فقالت تدافع عنه: «إن نيكي ليس تافهاً. ولكنه محظوظ. وهو يحب كليو...» انتبهت إلى نفسها، فهي تتكلم مع ماكس. ربما هو أيضاً يحب كليو، شحبت وعضت على شفتها.

«هل هذا ما أخبركِ به؟» سألها ماكس، كانت نبرات صوته كالأسيد الحارق. «أنت قادرة على خداع الناس دائماً.»

«إن نيكي يعني ما قاله لي. إنه يحبها، أنا متأكدة من ذلك.»

أضاءت عيناه الرماديتان وجهه، كان يبدو غاضباً ومنزعجاً. «وماذا قدم لك؟ جائزة عزاء؟ وبضع قُبل للوداع؟ أو أنك قررت تفضيل رودي؟ أنت بالتأكيد قادرة على انتقاء رجل من الدرجة الثانية يليق بك.»

لقد جرح كبرياءها بكلامه السيىء. كانت تشعر بالاعياء والتعب بعد انتهاء التدريب، وها هو ذا ماكس يزيد من آلامها.

لحقت بدودي ورالف إلى السيارة وذهبت معهما إلى البيت حيث الحرية والراحة.

عندما وصلت، استحمت وذهبت إلى سريرها. لم تكن

تشعر بشهية للأكل... ولم يناقشها سبي، فهو يعلم أنه من الأفضل أن يترك الأمور على طبيعتها.

لم تشعر بالراحة أثناء نومها. فقد كانت تستيقظ من وقت إلى آخر لشعورها بالخوف والاضطراب.

وأخيراً اختفى الظلام ليزحف الضوء الشاحب إلى غرفتها عبر النافذة يصحبه تغريد طيور الصباح. ارتدت ثيابها و نزلت إلى المطبخ. كان سبي قد سبقها وبدأ بتحضير عصير البرتقال. نظر إليها وأشار إلى إبريق القهوة. تنهدت وسألت: «كيف أبدو؟»

قال بصراحة: «فظيعة مثل البطانية الرمادية البالية.»

قهقهت. «أتمنى لو أجد مخرجاً من هذا المأزق.» ثم قالت بعد لحظة: «أتمنى لو أنني لم أقبل العمل معهم. عندي شعور بأن هذه الليلة ستكون من أسوأ ليالي عمري.»

الفصل العاشر

أصر ماكس على أن ترتاح كاثرين لعدة ساعات في فترة بعد الظهر. ولكنها احتجت فقد كانت تشعر بالنشاط، ولكنه قادها إلى غرفتها، وأسدل الستائر ليحجب نور الشمس عن الغرفة ثم طوى غطاء سريرها.

ألح عليها: «من المحتمل أنك لن تستطيعي النوم، ولكن حاولي أن ترتاحي و تسترخي. لا تنسي أن الآخرين معتادون على هذا النوع من العمل. وأنت جديدة عليه. سيكون عملاً منهكاً في البداية. إنها مسرحية طويلة... ساعتان وثلاثة أرباع الساعة على المسرح، وستكونين موجودة هناك طيلة الوقت حتى لو لم تشاركي في الحوار. ستقفين أو تجلسين على المسرح، تشاركين بعواطفك وأحاسيسك، استلقي واسترخي. حاولي أن لا تفكري في أي أمر.»

خلعت ثوبها بعد أن خرج من الغرفة، وارتدت عباءة نوم من القطن واستلقت لتنفذ أوامره. لم تبعد الستائر المنسدلة أصوات الصيف في الخارج، زقزقة العصافير على الأشجار. وصوت رجل يجز العشب في الحديقة. هبت نسائم فحركت الستائر في الغرفة إلى الأمام وإلى الوراء فتلألأ النور المنساب على جدران غرفة النوم.

كانت مستلقية تتأمل ما يجري حولها. حاولت أن لا تفكر في المسرحية. ولكن، ازدحمت الأفكار في رأسها واندفعت

www.elromancia.com

لتسيطر عليها. بدأت تفكر بالفشل. لكنها حاولت جهدها أن تبعد هذه الصورة عن مخيلتها.

لماذا تقوم بكل هذا؟ لماذا تعرض نفسها للإساءة والفشل والعار؟ تململت في سريرها وعضت على شفتيها، ثم نهضت بعصبية.

لم تكن فكرة ماكس مريحة. فهي لم تشعر بالراحة بل خيم الحزن على مشاعرها. كان من الأفضل لها أن تقضي فترة ما بعد الظهر في المطبخ مع سبي، تصنع الحلوى أو تخفق البيض لتحضير المايونيز.

دخلت الحمام واغتسلت بماء بارد ثم عادت وارتدت ثيابها ونزلت إلى الطابق السفلي.

كان ماكس في الحديقة، يقرأ على كرسيه الهزاز، نظر إليها عابساً عندما اتجهت نحوه. «لماذا أنت هنا؟ أعتقد أنني طلبت منك أن ترتاحي.»

فأجابت: «لم أستطع.»

تأمل وجهها بعينيه الرماديتين. «حسناً. تعالي والعبي معي الشطرنج. إن هذا سيشغل تفكيرك.»

فقالت: «سأصنع قالباً من الحلوى، إن هذا يريحني أكثر.»

نظر إليها ماكس متشككاً للحظة. ثم ابتسم فجأة. ظهر وجهه جذاباً وشعرت بأنها غير قادرة على مقاومته. وتابع هو كلامه: «كل منا إلى عمله. أضيفي الشوكولاته إلى القالب، فأنا أحبها. وضعي نكهة النعناع... مثل القالب الذي صنعته عندما وصلنا إلى هذا المكان.»

كان سبي يشرب الشاي ممدداً رجليه على كرسي أمامه.

وابتسم لها. «تباً للراحة؟ كنت أتساءل إلى متى ستبقين في غرفتك. أحضري لنفسك كوباً.»

صبت كاثرين لنفسها بعض الشاي. ثم بدأت بجمع المواد اللازمة لتحضير قالب الحلوى مع الشوكولا الذي طلبه ماكس. وبسرعة، اندمجت في عملها. نشط جسدها وارتاح تفكيرها. كانت تتكيف بهذا النوع من العمل وتشعر بحرية أثناء ادائه. قلّت مخاوفها وزال اضطرابها. وشعرت بأنها أصبحت قادرة على مواجهة أصعب المشاكل. أحست بأن براعم ثقتها بنفسها تتفتح من جديد.

شعرت بالسعادة لساعات قليلة، ولكنها عادت لتتوتر من جديد مع مرور الوقت. كانت ترتعش وهي في طريقها إلى المسرح. كانت يداها باردتين مشدودتين على بعضهما البعض في حضنها. وكان وجهها شاحباً كلون الشريط الذي يزين «قبة» فستانها.

كان المكان وراء الكواليس مزدحماً. والأصوات تصم الآذان. شُبّان وشابات يروحون ويجيئون متشوقين ومتأثرين. كانت أعمال ديكور المسرح قد أنجزت، والعمال مجتمعون عند الباب يتأملون إنجازهم. كان مصمم الألوان عابساً، لم يعجبه لون الستارة الخلفية للمشهد الثاني، وحاول أن يفكر بكيفية إضفاء لون آخر عليها.

كانت يدا كاثرين ترتعشان أثناء ارتداء ثوبها. ثم جلست أمام المرآة، فتحت برقيتين وقرأت فيهما تمنيات بالنجاح. وعادت ڤيولا وكاس ليقبلا كاثرين ويتمنيا لها الحظ السعيد.

كانت فيولا تنتظر، بشوق، يوم زفافها. «أعتقد أنني أصبحت جيدة في العمل المنزلي، كيف تراني، يا كاس؟»

ابتسم كاس وقال: «المهم أنك لم تسممينني حتى الآن. يبدو جيفري جاهزاً لتقبل أي شيء تقدمينه له. وهكذا. أرى أنك ستكونين في أمان.»

كانا مسرورين لدخول كاثرين معهم في هذه المهنة. «والآن، اجتمع آل ميلفورد جميعهم في عمل واحد!» قبّل كاس كاثرين بحرارة. «سنعمل معاً يوماً ما.» وابتسم لوالده الذي دخل عليهما في غرفة الملابس. «ما الذي أسعد والدي هكذا؟»

قال رالف والسعادة تملأ قلبه: «هذا صحيح، حظاً سعيداً، يا عزيزتي.» قبّلها فشعرت بوخز شعيرات لحيته على خدها. «سنقوم بعمل شيق هذه الليلة.»

أطلت كليو من الباب وهزت رأسها لفيولا وكاس. «ما هذا؟ اجتماع عائلي؟ لقد جئت لأعبر عن تمنياتي بالحظ السعيد لكاثرين. وأنت أيضاً يا والدي.»

قاطعهم ماكس: «إنني آسف أن أقطع هذا المشهد العائلي المثالي، ولكنني أريد أن ترتاح كاثرين قليلاً قبل أن يحين دورها... هيا جميعكم... إلى الخارج. لا تنسوا أنها جديدة في هذا العمل.»

وهكذا بقيت بمفردها مع ماكس. جلست مرة أخرى، وتنهدت. سألها وهو يحدق في وجهها في المرآة: «متوترة؟»

اعترفت أمامه: «خائفة.»

أومأ برأسه. «هذا طبيعي. إنه العرض الأول بالنسبة

للجميع. فبعضهم يشعر بالمرض وبعضهم الآخر يشعر بالتوتر. ولكننا جميعاً متأثرين.»

فقالت كاثرين: «إن فيولا تشعر دائماً بالاعياء في مثل هذه الليلة.»

فقال يطمئنها: «سيمر الأمر عليك مرة واحدة.»

ابتسمت كاثرين. «نعم.» كان لونها الشاحب يظهر تحت مساحيق التجميل. كانت عيناها الزرقاوان رائعتين.

ركع ماكس وتناول يديها فشعر ببرودتهما. غضب وقال محتجاً: «يا إلهي، أنت كالجليد!» فرك أصابعها بيديه ومال برأسه نحوها.

نظرت إليه وشعرت بتيار من الحب يجرفها. كانت أهدابه الكثيفة تغطي عينيه وتخفي ذلك الذكاء المعبر وراءهما. حتى ملامحه القاسية قد كساها لطف غريب.

قالت بصوت مبحوح: «أتمنى أن لا أخذلك.»

رفع رأسه. رأت دهشة وشيئاً آخر في عينيه. كان ما يزال يمسك بيديها، بأصابعه الباردة. قال بلطف: «إنني لا أشك بقدراتك. ولن تفشلي، يا عزيزتي.»

ضحكت بتوتر. «أتمنى أن تكون على حق.»

أكد كلامه الذي قاله سابقاً: «إنني دائماً على حق. من الممكن أن لا تثقي بنفسك، يا كاتيا، ولكنني أريدك أن تثقي بي.» وكان صوته لطيفاً وطفولياً.

ابتسمت وقالت: «إني أثق بك.» شعرت بنفسها وكأنها تعترف أمامه بأحاسيسها، ثم أضافت: «إني أثق بك وبكل شيء تقوله.»

بدا وكأنه سيقول شيئاً. وبدأ قلبها يخفق عندما لمحت

نوراً في عينيه الرماديتين. ولكنه وقف فجأة مطلقاً يديها.

قال لها: «سأتركك لترتاحي قبل أن يحين دورك. ثقي بي وانسي أي شيء آخر.» توقف برهة، متردداً ونظر إليها.

انتظرت كاثرين ردة فعله، كانت تتصور أنه سيقبلها كما فعل الآخرون.

كانت قبلته ناعمة ولطيفة. أراحتها بعض الشيء، ولكنها خيبت أملها. لأنها كانت ستشعر براحة أكبر لو قبلها بطريقة أخرى.

لم تمضِ سوى بضع لحظات حتى كانت كاثرين تقف وراء الكواليس تنتظر دورها. أصابها الهلع عندما رأت لمعان تلك الأضواء التي تنتظر في الظلام. إنها كعيون حيوانات الغابة التي تنتظر بشوق، الفرصة المناسبة لتنقض على فريستها.

امتزجت مشاعر الخوف مع مشاعر الواجب، ثم بدأت تتحرك بعفوية. نسيت المشاهدين وبدأت تعيش بشخصية تلك الفتاة التي تعاني ألم الصدمة التي تعرضت لها. بدأت تشعر وتفكر معها.

تحركت بصمت خلال المسرحية، كان جسدها النحيل يجسّد حركة وشخصية فتاة يائسة. كانت عيناها البائستان في وجهها الشاحب، تحدقان في الفراغ حولها وتعبران عن حزن وبؤس وفقدان الأمل.

عندما حان دورها في الفصل الأخير من المسرحية، انفجرت كلماتها المؤثرة والمختصرة لتقطع السكون المخيم على المكان ولتجذب العيون نحوها. لقد جذبت كلماتها انتباه المشاهدين وأثرت بهم تأثيراً عميقاً.

استطاعت أن تسيطر عليهم فقد شحنت خطابها بأبعاد إضافية من القوة.

وما أن انتهت وأحست بالسكون يسيطر على المكان، حتى عادت لترتعش من جديد.

أطفئت الأنوار، وبدأ المشاهدون بالتصفيق الحاد. استمرت حدة التصفيق حتى سمع كصوت أمواج تتلاطم على صخور الشاطىء. ذُهلت كاثرين وانبهرت لهذا الحماس. تسمرت مكانها ولم تعد تقوى على الهرب. ودون أن تدري، أحست بنفسها تندمج مع البقية، انحنى الجميع متماكسي الأيدي، يحيون الجمهور ثم تقدم رالف وهو يمسك بيد دودي. فارتفعت حدة التصفيق. ثم دعا رالف كليو التي استُقبلت أيضاً بحماس قوي من قِبل الجمهور. وقف الممثلون الثلاثة الرئيسيون وأشاروا إلى كاثرين المذهولة لكي تتقدم نحو رقعة الضوء وتشاركهم في تحية الجمهور. كانت متسمرة في مكانها وهي ترتعش.

تقدمت دودي منها وأمسكت يدها بلطف ثم قادتها، وسط تصفيق يصم الآذان، نحو والدها. كان الجمهور يصفق بحماس ويصفر ويلوح لهم بإبتهاج. لم تعرفِ كاثرين أنها كانت تبكي حتى وصلت إلى ما وراء الكواليس. مسحت خديها بمنديلها وقالت: «آه، أعزائي، يا أعز الناس...» كان في صوتها حب ورقة.

قالت كليو وهي تضحك: «أعتقد بأن هناك نجمة قد ولدت اليوم، شكراً لماكس.»

نظرت كاثرين تفتش عن ماكس بوجه خائف ندي بالعرق، ولكنه لم يكن معهم مما أثار قلقها. كانت متشوقة

www.elromancia.com

لرؤيته لكي تشكره. كانت رؤية ماكس تهدىء من روعها.

ثم، لمحته فجأة، بين الحشود التي تتزاحم وتدفع بعضها البعض. كان يصافح بعضهم ويتكلم مع البعض الآخر.

كان يرتدي قميصاً ضيقاً. نظرت إلى وجهه العابس، أحست بمعاناته. إنه مستمر في عمله حتى في الوقت الذي يغادر فيه الجمهور المسرح ليخرج إلى ليالي الصيف الهادئة.

مرت كليو بصعوبة بين حشد الناس ورمت نفسها بين ذراعي ماكس. ثم أمسكت وجهه بيديها وقالت: «إنك ملاك! شكراً لك... إننا ندين لك بكل هذا...»

نظر ماكس إلى وجهها ثم مال نحوها ويداه تشدان على خصرها.

وكأنما أُغمد خنجر في صدر كاثرين. غصت بريقها وأبعدت نظرها عنهما.

حاولت أن تمشي نحو غرفة الملابس وسط الناس الذين كانوا يهنئونها ويمدحونها. وكانت تبتسم لهم وتشكرهم، ولكنها كانت تشعر بالاعياء.

قبلتها دودي وكذلك والدها وڤيولا وكاس وكليو من جديد، ثم نيكي. لم تصدق كاثرين ما يحصل لها. فحتى هذه الليلة كانت ما تزال خارج الحلقة. كانت تراقب وتهنىء. كانت تنظر إلى هذا البيت المجنون من الخارج. كانت تقف وراء الكواليس لتتمنى الحظ السعيد لعائلتها ولتهنئهم. والآن، فهذا الأمر يحدث معها... ولكنها تكرهه.

وجوه وأصوات وأيدٍ تلوح وعيون تحدق... كانت متأكدة من أنها ستجن.

ثم، حدث شيء ما. غشاوة على عينيها... شحب وجهها ثم ازداد شحوباً، ثم تلاشت لتتهاوى على الأرض.

«كاتيا!» صرخت دودي وركعت بالقرب من ذلك الجسد النحيل.

«ماذا حصل؟» سأل الحاضرون بعضهم. ذعر رالف وسأل: «هل هي مريضة؟»

وجد ماكس طريقه بصعوبة بين الناس، حتى وصل وانحنى ليحملها بين ذراعيه... حيث نقلها إلى غرفة الملابس وأغلق الباب وراءه.

فتحت دودي الباب وقد وقفت خلفها وجوه متأثرة. صرخ بهم ماكس بوجه عابس.

«أخرجوا! جميعكم!»

نظرت إليه دودي وخرجت. أُغلق الباب ليعم الهدوء مجدداً في الغرفة الصغيرة.

فتحت كاثرين عينيها ببطء، أحست بارتفاع في ضغطها. فقد كان ماكس راكعاً بالقرب منها ومسمراً عينيه الرماديتين على وجهها. سألها: «كيف تشعرين الآن؟»

همست: «أنا آسفة، لقد كان الأمر قاسياً.»

سألها بفضول: «التمثيل؟»

هزت رأسها. «كلا، فيما بعد... أناس كثيرون...» لم تقل له أنها شعرت بثقل في رأسها عندما رأته يقبل كليو.

نظر إليها غاضباً. «كان عليك أن تأتي إلى غرفة

الملابس مباشرة. وفي المستقبل سأتأكد من خلو الطريق خلف الكواليس. لا أحب التجمعات هناك...»

أرخت رأسها وأغمضت عينيها. تناول قطعة من القطن بللها بالكولونيا ومسح جبهتها برقة، ثم مررها على وجهها. أحست بحركة أصابعه على وجهها، لم تكن تريده أن يتوقف. فقد أراحتها هذه الحركة كثيراً.

قال بهدوء: «أعتقد أنك تتساءلين عن سبب عدم تزلفي في مدحك كالآخرين؟»

كانت كاثرين مستلقية بهدوء. «كلا،» قالت ذلك، كانت شفتاها تتحركان فقط لتنطق الكلمات.

فقال مازحاً: «إنك كاذبة صغيرة.»

فطرفت بأهدابها. ثم نظرت إليه. كان ينظر إلى وجهها، بعينين مملوءتين بالبهجة والسرور.

«لم أقل لك شيئاً لأنني أضعت الكلمات المناسبة. لقد أعطيتني كل ما طلبته منك. عرفت مسبقاً أنك ستكونين جيدة. ولكني كنت مخطئاً. لم أعرف أنك ستكونين ممثلة بارعة.» تكلم بصوت منخفض ونبرات كئيبة وكأنه يشعر بألم. ولكن تلك العينين كانتا ما تزالان تحملان فيهما نظرة التهكم المعهودة.

أحست بالسعادة وقالت: «ماكس...»

ضحك مقاطعاً. «حسناً؟ أهذا كل ما تريدين قوله؟» أصبح التهكم واضحاً في صوته. «لقد قبلتني كليو...»

ترددت قبل أن تبعد الخجل عنها. نهضت ولمست يداها كتفيه بخجل. تأملها وهي تنحني إلى الأمام لتقبله. كان بارداً لم يتجاوب معها، ولم تعرف ما يجول في خاطره.

كانت قبلة ناعمة خجول وقصيرة. ابتسم لها ماكس عندما تراجعت إلى الوراء. «شكراً، ليست كقبلة كليو، ولكنك ستتقدمين دون شك، إن لديها خبرة طويلة في هذا المجال.»

أزعجها بهذه المقارنة. «إنني آسفة لأنني خيبت أملك.»

ظهر وكأنه يتحداها. «ليس الأمر بيدك يا صغيرة، إنك ما زلت باردة عاطفياً.»

ارتفعت حرارة وجنتيها. «إنني لست كذلك!»

فقال متحدياً: «أثبتي لي.»

كانت ردة فعلها أنها ألقت نفسها، دون أن تفكر بما تفعل، بين ذراعيه، كما فعلت كليو لتقبله بكل حرارة عواطفها المتراكمة منذ أسابيع، لفت ذراعيها حول عنقه، والتصقت به وغرقت في بحر من العاطفة المجنونة. ولكنها أدركت فجأة فعلتها، فتراجعت خجلة ومذعورة. قابلت عيناها الواسعتان عينيه وقالت. «أنا... أوه، كلا...» ودفعته عنها. حاولت أن تقف على قدميها. وقد أحست بالهوان.

لم يعد لدى ماكس أدنى شك في أنها تحبه. لقد ظهرت عواطفها جلية الآن، فهل في امكانه، بعد ذلك، أن يتجاهلها أو يسخر منها؟

«كاتيا، حبيبتي...»

جمدت كلماته هذه، الدم في عروقها.

كان يبدو جاداً. تجرأت ونظرت إليه مرة أخرى. كان يبدو شاحباً متوتر الوجه. رأت في عينيه عاطفة لم تلحظها من قبل.

أمسك بها وشدها نحوه فوضعت رأسها على كتفه. كانت يداه تتحركان فوق كتفيها وظهرها وأصابعه القوية تضغط

على جسدها. وارتمت بين أحضانه لتغرق في جنة الحب.

قال بصوت أجش: «أحبكِ. لقد أغضبتني وأزعجتني، ولكنك جعلتني أجن بك. لا أعرف ماذا فعلت بي؟ كل ما أعرفه أنني كلما كنت أراك كنت أتشوق إليك. إن عظامك رقيقة أستطيع أن أحطمها دون أي جهد. إنك خجول وعصبية وذات شجاعة خرقاء، كاتيا... سأجن إن لم تقبلي الزواج مني...»

كانت تائهة في تلك السعادة الغريبة. ومدت يدها تلامس خديه الخشنين والخط الممتد من فمه إلى ذقنه. وقد توقف ذهنها عن التفكير.

أحس ماكس بحشرجة في حنجرته. أمسكها وعانقها من جديد. أحست بدفء ليل الصيف يغلفهما ويلفهما بظلام مليء بالأحاسيس المتأججة.

استمعت إليه ورأسها على كتفه. أخبرها عن حبه لها. ها هو ذا يظهر الآن على حقيقته، السيد الهادىء المتزن، المسيطر على تصرفاته.

ولكنها ما زالت ترى خلف تلك العينين الرماديتين ظل العاطفة... العاطفة التي ملأتها دهشة.

قال: «لا أستطيع تذكر متى بدأت أشعر بأنني أحبكِ، لقد نما حبك في قلبي ببطء. وبعد ذلك، صرت أراك بوضوح، رأيت فيك موهبة الممثلة التي ينقصها الإيمان بقدراتها. وقد وافقت دودي معي وكان لها الفضل في إقناع رالف. كنا جميعاً واثقين من أنك بحاجة إلى الثقة بالنفس... لا أظن أن رالف كان قادراً، وهو على خشبة المسرح، أن يعرف كم كنت رائعة. فكل ما يعرفه أنه يحب هذه الإبنة الصغيرة.

ولكنني أحببت فيك الإمرأة القادرة.» وابتسم لها. «الإمرأة التي سأصنعها في المستقبل.»

ابتسمت كاثرين وسألت: «وما الذي يجعلك تظن أنني لست تلك الإمرأة الآن؟»

نظر إلى شفتيها وإلى حنجرتها وقال لها: «لا تحثيني على ركب المخاطر، يا كاتيا، فأنا واقع تحت ضغط كبير... سأنتظر حتى تتزوج فيولا قبل أن أصحبك إلى الكنيسة. إن زواج فتاتين من آل ميلفورد وقع لا يستطيع العالم تحمله.»

اقترحت كاثرين: «ولِمَ لا يكون زواجاً ثنائياً؟»

ضحك ماكس. «هذا يثبت لي أنك فتاة بريئة وصغيرة. ماذا؟ أتنتظرين من فيولا أن تقبل مشاركتك لها في ذلك اليوم العظيم. إنها تحبك كأخت لها. ولكنها لن ترضى بمثل هذه الفكرة.»

فابتسمت له. «لا تكن متشككاً!»

فقال: «أنا أعرف آل ميلفورد إنهم يحبون أن يؤدوا عروضهم على مسرح فسيح وأن يكون العالم كله جمهورهم.»

فسألته ممازحة: «وأنا، أيضاً؟»

«أنت؟» لمس خدها بلطف. «أنت مختلفة عنهم، الكل يعرف هذا.» سمعت طرقات على الباب، ثم مد رودي سامنر رأسه. رقّص حاجباه عندما رأى عاشقين متعانقين.

قال بصوت قاس: «أنا آسف لتطفلي... لقد جئت لأهنئك.»

«وسيكون لك هدفان بدل الهدف الواحد. لقد وعدتني كاثرين بالزواج.»

حدق رودي إليها. «هكذا إذن، نعم، حسناً، أقدم لكما أحر

التهاني.» تنفس بعمق وقال: «هل أستطيع نشر الخبر؟» أجاب ماكس. «ولِمَ لا؟»

أومأ رودي برأسه دون أن يتفوه بأي كلمة. وحدقت كاثرين إلى الباب الذي أغلق بقوة.

«لقد خاب أمله.»

هز ماكس كتفيه. «ليكن هذا.»

نظرت إليه بعينيها الواسعتين. «ما الأمر، يا ماكس؟ لا تكن مبهماً هكذا!»

«يا عزيزتي الصغيرة، لقد بدا واضحاً أن رودي سامنر يحبك وقد ظهر هذا في تصرفاته في الأسابيع الأخيرة. وأظن أنه يحبك منذ زمن. لقد ظننت أنه أكثر ذكاء فهو لم يستغل خجلك في الماضي.»

توردت وجنتاها وأحست بالخوف. «إنك مخطىء! رودي يحبني أنا؟ لا يا ماكس!»

فقال ساخراً: «بلى، يا ماكس. هل تعرفين لماذا كنت أكره هذا الرجل؟ كنت خائفاً أن تكوني مغرمة به أنت أيضاً، لقد كنت تدافعين عنه بشراسة.» وتجهم وجهه. «لقد عرفت لماذا نشر تلك القصة عن علاقة نيكي بداليا. كان ذلك بمحض الصدفة... إن الزوجة الأولى لذلك الملك الثري عرفت بالعلاقة العاطفية بينهما لذا لجأت إلى الصحافة لتنشرها. كانت تعتقد بأن هذه الشائعات ستؤثر على زوجها السابق فيترك داليا ويعود إليها. ولكن، كانت داليا أقوى منها بكثير والذي يثبت ذلك أنها ما زالت متزوجة منه وتعيش معه.»

فسألته: «ومن أخبرك بهذا؟»

«رودي نفسه. لقد سألته بدافع الفضول عن شيء آخر، ولكنني أصبت عصفورين بحجر واحد فقد تغير الموضوع خلال الحديث وأوضح لي سبب نشره للخبر.» كشر ماكس عن أسنانه بابتسامة عريضة. «أشعر بأسف نحو هذا الشاب، لأنها المرة الأولى الذي يهتم بها بشخص غير نفسه البائسة.»

شعرت بالحزن. «لقد كان يدعوني بسندريللا ويحثني على أن أثق بنفسي...» كانت نبرات صوتها الحزينة توحي بأنها قد صدقت كل ما قاله ماكس.

تأمل وجهها المتأثر. «لا تشغلي بالك برودي سامنر. يجب أن تبدلي ملابسك وتأتي معي إلى الحفلة. أتصور أن هناك حشوداً من الناس يتمنون أن يلقوا نظرة عليك.»

ارتجفت قائلة: «إنني خائفة، يا ماكس. لا أريد أن نذهب إلى الحفلة... دعنا نبقى هنا معاً. سيدخل العالم إلى هنا عندما نفتح هذا الباب. إننا هنا في أمان وسلام.»

فهم ماكس كلامها. إنه السحر اللامعقول الذي أطلقه الحب. «أعرف. فهنا عالمنا السري ولن نسمح لأحد بأن يدخله. ولكننا لن نبقى هنا إلى الأبد، يا حبيبتي. فعلينا أن نخرج آجلاً أم عاجلاً. عليك أن تواجهي الواقع بأنك قد أصبحت من المشاهير هذه الليلة. عليك أن تقبلي الحقيقة التي تقول أن العالم حولنا هو الذي يقدم لنا الشهرة والمال والحب. علينا أن نرضى بما يقدم لنا جمهورنا.»

همست وهي ترتعش: «إنه مخيف.»

فقال موافقاً: «نعم، ولكنه مثير أيضاً. وعندما نلجأ إلى السكينة سيكون لنا عالم آخر... عالم من الحب والسلام لا يدخله أحد غيرنا.»

تنهدت كاثرين. «إنك تريحني بكلامك، يا ماكس. ساكون بحاجة إليك في كل لحظة في حياتي...»

«وساكون حاضراً، وسيكون الآخرون أيضاً: رالف ودودي وشقيقاتك وكاس. كلنا نحبك.»

«ستكون الأمور رائعة لو رضيت كليو أن تسامح نيكي.»

فطمأنها قائلاً: «ستسامحه. من الصعب جداً أن تقدر كليو على مقاومة جاذبية نيكي. إنها تنتفض لكبريائها وهي تعلم أن نيكي هو قدرها. كما أنتِ قدري، أيتها الملاك، صاحبة القلب الرقيق والرأس العنيد.»

غمزته كاثرين وقالت: «ساحر! لن أفسح المجال لك لتقول مثل هذا الكلام مرة أخرى؟»

«ساتغلب عليك دائماً.»

ابتسمت له ثم قالت بجد: «لا أعرف إن كنت قادرة على أن أمثل مرة أخرى.»

نظر إليها ماكس وكأنه لم يسمع ما قالت. «لا تمثلي مرة أخرى؟ يا إلهي، ما الذي تقولينه؟ بعد كل هذا التعب...»

«نعم، ولكن، يا ماكس، ألم تفكر بالأمر عندما سيكون لدينا عائلة. أنتَ في الثلاثين من عمرك، وستطلب أن يكون لديك أطفال، أليس كذلك؟» وأصبحت نظراتها أكثر رقة. «أنا أريد، أنا أعرف. صبي وبنت... إثنان فقط. أريد أن أعتني بهما... لا أريد مربيات لأطفالي. سيكون الأمر رائعاً...»

كان ماكس ينظر إليها مذهولاً. «هذا يعني أنك ستتخلين عن المسرح مجدداً، لكي تنجبي أطفالاً؟»

فقالت غاضبة: «ماذا تعني بقولك، فقط لتنجبي أطفالاً؟ أنا أحب الأطفال، وساكرس حياتي لأطفالي والذين

سيكونون أطفالك، يا حبيبي. أنت تعرف كيف يتربى أولاد العائلات العاملة. فلا يتطلب الطفل من أهله سوى الأمان والحب. أعني أن علينا أن نمنحهم كل حبنا...»

أمسك بيديها وقربهما من شفتيه، قبلهما برقة وقال لها: «إنني لا أُصلح لك، يا عزيزتي كاتيا. هل أنت متأكدة من أنك تريدين حقاً أن تتزوجي شخصاً عجوزاً أنانياً مثلي؟»

ضحكت لكلامه «إنك سخيف!» استيقظت من حلم اليقظة عندما سمعت ماكس يضحك مع نفسه، نظرت إليه متعجبة وسألته: «لماذا تضحك؟»

ابتسم ماكس ابتسامة عريضة، كانت عيناه الرماديتان تشعان بالسعادة. «تخيلت كيف سيكون وجه رالف عندما يصبح جداً. لن يعرف إن كان عليه أن يبتسم أو يعبس! ستكون النهاية لفكرته عن نفسه بأنه محطم قلوب النساء. وسيرضى بواقعه الجديد... الجد الكبير لآل ميلفورد!»

فضحكت. «مسكين أبي! كم سيكره هذا الأمر! ولكنه سيتحلى بالشجاعة ليواجه هذا الواقع. سيكون هو الجد وإلى جانبه دودي الملاك.»

ابتسم ماكس. «سأقول لدودي يوماً ما، أنك كنت تعتقدين أنني مغرم بها. سيخجلها هذا التصريح. هل تعرفين أن دودي أكبر مني بعشر سنوات؟»

«ولكنها لا تزال جميلة.» قالت كاثرين وهي تضحك هازئة من نفسها.

نظر إليها ماكس بتلك العينين الرماديتين المفعمتين بالعاطفة. «ليست بجمالك. ولن يكون هناك من هي أجمل منك.»

سمعت طرقات على الباب، فقال ماكس: «إن هناك من يقتحم عالمنا، لا تخافي، استجمعي قواك، يا حبيبتي.»

فقالت له: «قبلني بسرعة. أستطيع أن أسير بين النيران بعد أن تقبلني...»

لم يكن ماكس بحاجة إلى إعادة هذا الطلب. قبلها ماكس قبلة طويلة لم تستطع الطرقات على الباب أن تقطع عليهما لذة تبادل مشاعرهما الصامتة.

تمت

www.elromancia.com